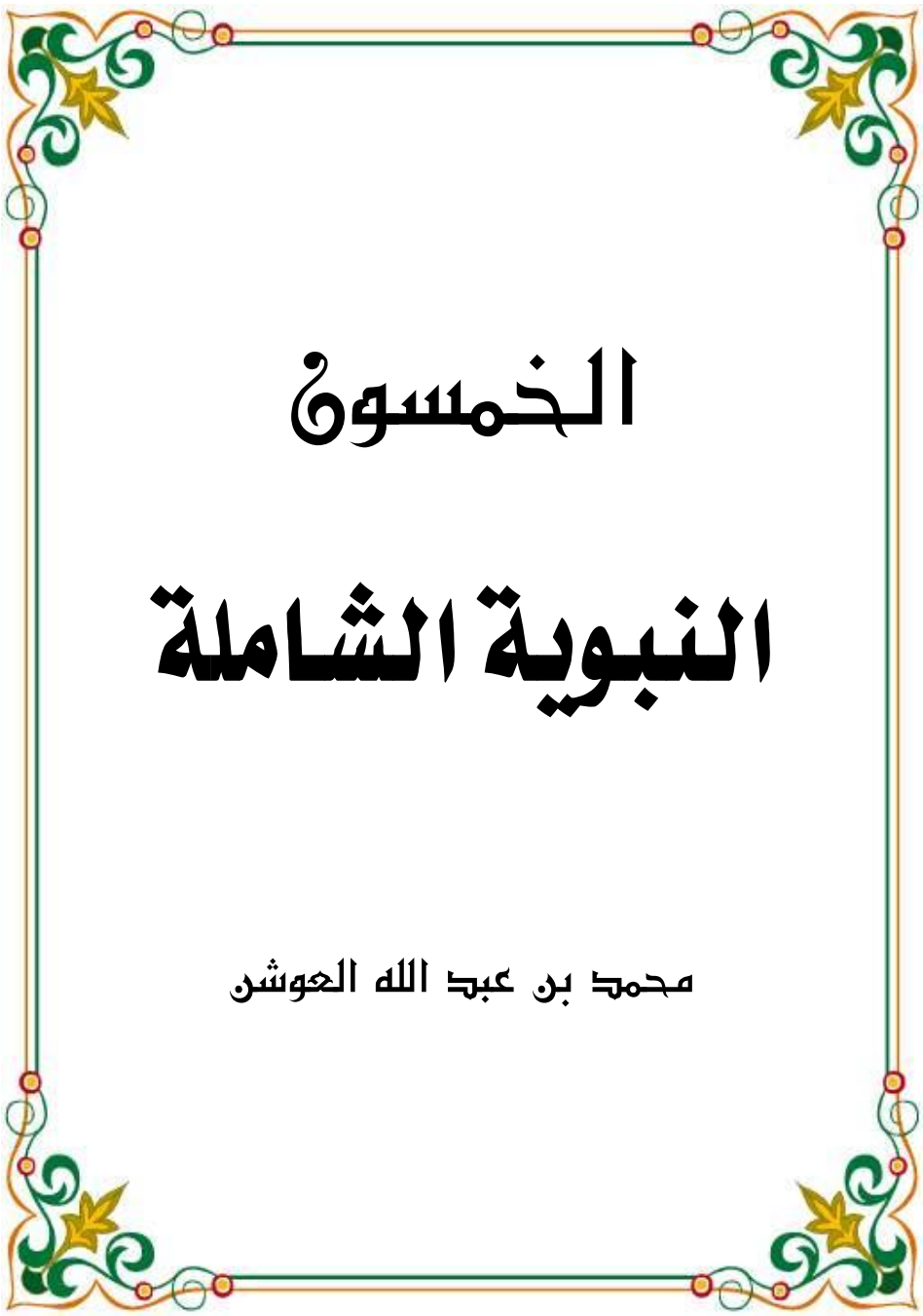

الخمسون

النبوية الشاملة

محمد بن عبد الله العوشن

ⓒ محمد عبد الله عبد الرحمن العوشن ، ١٤٣١هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العوشن، محمد عبد الله عبد الرحمن

الخمسون النبوية الشاملة. / محمد عبد الله عبد الرحمن العوشن:- الرياض، ١٤٣١هـ

١٩٦ص ؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك:٩-٦٠٣-٠٠-٥٠٣٦-٩٧٨

١- الحديث الصحيح أ- العنوان

ديوي ٢٣٥.١ ١٤٣١/٣٦١٠

رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٦١٠
ردمك: ٩-٦٠٣-٠٠-٥٠٣٦-٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

الصف والإخراج أبو أنس: جوال: ٠٥٠٠٨١٨١٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وبعد:

فهذه (الخمسون النبويّة الشاملة) من الأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ، شاملة لأمور شتّى، فليستْ مقصورة على أحاديث الأحكام، ولا الفضائل، ولا على أمر معيّن من أوامر الشرع، فكلّ حديث منها يتناول جانبًا من الجوانب من الأحكام والآداب، فمنها: أهمية النية، وأثرها في الأعمال، فضل التفقّه في دين الله، خطر الابتداع في الدين، البرّ بالوالدين، العناية بصلاح القلب واجتناب المشتبهات، أهمية حفظ اللسان، حق المسلم، من آداب الاستئذان، فضل الذِّكْر، من آداب الأكل، الغيبة، النصيحة، حرمة دم المسلم وعرضه وماله، التحذير من الفتن، فضَل الصحابة، حقّ الكبير، وغير ذلك.

وقد حرصتُ على:

* أن يكون الحديث في الصحيحين، أو أحدهما، ولم أجاوزهما إلّا إذا لم أجد في الباب حديثًا مناسبًا، فألجأ إلى ما صحّ في كتب السنن.

* أذكر ترجمةً لراوي الحديث، مُطعّمةً ببعض القصص والأخبار من سيرته، ولو طالتْ الترجمة؛ لما في ذلك من دروسٍ وعبرٍ.

* اجتهدت - في شرح الحديث - على نقل كلام أهل العلم، المتقدمين منهم، والمتأخرين، والمعاصرين.

وعلى تَحْلية هذا الشرح بالمأثور عن السلف، من الأقوال والأعمال؛ ليكون دافعًا للتأسي بهم:

وتشبَّهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إنّ التشبّه بالكرام فلاح

* ولا أذكر في شواهد الحديث إلا ما صح، فإن كان فيه ضَعْف بيّنته من كلام أهل العلم.

* أختم كلّ حديثٍ بذكْرِ ما يُستفاد منه.

وقد شرفتُ بقراءة الشيخ الإمام العلاّمة: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين لأوّل هذا الكتاب، وحال مرضه، ثمّ وفاته. رحمه الله، وجزاه عن المسلمين خيرًا. دون إتمام بقيّته، والتقديم له، كما كان مقرّرًا، فكان من المناسب أن يقوم بذلك أحد طُلاّبه الكِبار، ومن أخصّهم به: فضيلة الشيخ الدكتور: عبد العزيز بن محمد السدحان. جزاه الله خيرًا. فشكر الله للشيخ الإمام عبد الله[1]، ولتلميذه البارّ أبي عمر، وأجزل لهما الأجر والمثوبة.

والحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن العوشن

الرياض، في ١٤٣١/٣/١هـ

ص.ب: ٢٥٦٦٣ - الرياض: ١١٤٧٦

Mo_aloshan@yahoo.com

* * * * *

(١) والشكر موصول للأخ الفاضل الشيخ محمد بن سعد العوشن صهر الشيخ عبد الله بن جبرين رحمه الله.

K

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد العزيز بن محمد السدحان حفظه الله

الحمد لله ربِّ العالَمين، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وبعد:

فلقد تتابع جمعٌ من أهل العلم على إفراد مصنَّف يحوي أربعين حديثًا، وهؤلاء المصنِّفون كُثُرٌ جدًّا، حتى قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: «وقد صنّف العلماء ـ رضي الله عنهم ـ في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنَّفات، فأوّل من صنّف . . . وذكر جمعًا من المصنِّفين، ثمَّ قال .: وخلائق لا يُحصَون من المتقدّمين والمتأخّرين» . انتهى .

قلت: فكيف بمن جاء بعد الإمام النووي رحمه الله تعالى؟

وأمَّا تخصيص عدد الأربعين فلحديث: «من حفظ على أمَّتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه الله يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء» . وله ألفاظ أخرى بطرق أخرى، وقد ضعَّفه جمعٌ من أهل العلم، فقد نُقِل عن الإمام الدارقطني أنه قال: «لا يثبُت منها شيء» .

وقال النووي: «واتّفق الحفّاظ على أنه حديثٌ ضعيف وإن كثُرت طرُقه» .

لكن الإمام النووي رحمه الله تعالى ذكر أنّ العلماء اتّفقوا على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، ثم قال: «ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث: «من حفظ على أمّتي

أربعين. . .»، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة: «لِيُبلِّغ الشاهد منكم الغائب»، وقوله ﷺ: «نضَّر اللهُ امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأدَّاها كما سمعها».

والجامع لتلك الأحاديث الأربعين تارةً يكون متعلِّقًا بالمتن، وتارةً يكون متعلِّقًا بالسَّند، وتارةً ببلد، وتارةً بالسند والبلد سويًّا. . . إلى غير ذلك، ويدخل تحت ذلك أنواع كثيرة:

فمثال المتعلِّق بالمتن في موضوع معيَّن:

- «الأربعون في دلائل التوحيد» للإمام الهروي.
- «الأربعون حديثًا على مذهب أهل السنّة» للإمام أبي نُعيم الأصبهاني.
- «الأربعون في صفات ربِّ العالَمين» للإمام الذهبي.
- «الأربعون في الحثّ على الجهاد» للإمام ابن كثير.
- «الأربعون في اصطناع المعروف» للإمام المنذري.
- «الأربعون في ردع المجرم عن سبِّ المسلم» للإمام ابن حجر.

ومثال المتعلق بالمتن في عموم الأحكام:

- «الأربعون» للإمام النووي، واسمُها المشهور: «الأربعون النووية»، وقد سمَّاها مؤلِّفُها رحمه

الله تعالى بـ: «الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام»[٢].

- «الأربعون الأحكامية» للإمام المنذري.

- «أربعون حديثًا في قواعد الأحكام الشرعية وفضائل الأعمال» للإمام السيوطي.

ومثال المتعلق بالسند:

- «أربعون حديثًا من مسند بريد بن عبد الله بن أبي بردة عن جدِّه عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه» للإمام الدارقطني.

- «الأربعون حديثًا الثلاثيات» للإمام عبد بن حميد بن نصر الكَشِّي.

- «الأربعون السباعية» للإمام أبي طاهر السِّلَفي.

- «الأربعون التساعية الإسناد المخرَّجة عن ثلاثة عشر شيخًا من أهل السداد» للإمام ابن جماعة.

- «الأربعون العشارية» للإمام العراقي.

ومثال المتعلِّق بالشيوخ:

---

(٢) انظر إتحاف الأنام بذكر جهود العلماء على الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام» (ص٥٣)، جمع وترتيب: راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي.

- مصنَّف شيخ الإسلام ابن تيمية «أربعون حديثًا عن أربعين من كبار مشايخه».

ومثال المتعلق بالبلد:

- «الأربعون البلدانية» للإمام أبي طاهر السِّلَفي.

ومن لطائف التصنيف في الأربعينات مصنَّف الإمام ابن عساكر: «أربعون حديثًا لأربعين شيخًا من أربعين بلدةً»(٣).

وبعض العلماء لم يتقيَّد بعدد الأربعين كما فعل الحافظ ابن رجب في زيادته على «الأربعين النووية» عشرة أحاديث حتى كملت عدّتها خمسين حديثًا من جوامع الكلم لتكون جامعة لأنواع العلوم والحكم، كما ذكر في مقدّمته لشرحها «جامع العلوم والحكم».

ومن المصنَّفات المعاصرة على هذا المنوال هذا الكتاب: «الخمسون النبوية الشاملة» للشيخ الكريم محمد بن عبد الله العوشن أثابه الله تعالى ورحم أباه، فلقد أجاد الشيخ محمد في كتابه هذا، ومن خلال قراءتي لكتابه واستفادتي منه حقّ لي أن أقول: إنّ كتابه تميَّز بخصائص كثيرة، منها:

---

(٣) للفائدة عن التصنيف في الأربعين عمومًا ينظر: مقدّمة د. محمد بن عبدالكريم بن عبيد في تحقيقه لـ«كتاب فيه أربعون حديثًا من مسند بريد بن عبدالله بن أبي بردة» جمع الإمام الدارقطني.
وعن «الأربعين» التي جمعها الإمام النووي خصوصًا ينظر: إتحاف الأنام بذكر جهود العلماء على الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام»، للشيخ راشد بن عامر بن عبد الله الغفيلي.

- حسن الاختيار لأحاديث المتن، حيث الشمولية في الاعتقاد والعبادات والتربية.
- النقولات الموثقة المسددة من كلام أهل العلم.
- العناية بصحة جميع الأحاديث في المتن وكذا في الشرح، مع الإشارة إلى أحاديث قليلة تكلم فيها بعض أهل العلم.
- إيراد الشواهد المعاصرة ممَّا يقرِّب المعنى للذهن.
- شواهد من آثار السلف أحسن انتقاءها واختيار مواضعها.

إلى غير ذلك من اللطائف.

وممَّا ينبغي أن أذكره هنا أنّ شيخنا عبد الله بن جبرين - رحمه الله تعالى - كان قد قرأ هذا الكتاب - كما حدّثني الشيخ محمد - وبلغ قريبًا من خاتمة الحديث الرابع، وأحسن الظنّ بي أخي الشيخ محمد وطلب أن أكمل قراءته مع التقديم، ومع أنني لست أهلًا لذلك(٤) لكن جهدت فيه من باب البرّ بشيخي والمحبَّة لأخي.

وختامًا:

شكر الله للشيخ محمد وبارك الله له في علمه وعمله وأهله وماله، إنه تعالى سميعٌ مجيب.

---

(٤) غفر الله للشيخ أبي عمر.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات.

د. عبد العزيز بن محمَّد بن عبد الله السدحان

* * * * *

الحديث الأول

عن عمرَ بن الخطّاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ، وإنّما لكلّ امْرئٍ ما نوَى، فمَنْ كانَتْ هِجْرَتُه إلى الله ورَسُولِه فهِجْرَتُهُ إلى الله ورَسُولِه، ومَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ لدُنْيا يُصِيبُها، أوْ امْرَأةٍ يَتزَوّجُها فهِجْرَتُه إلى مَا هَاجَرَ إلَيْه». [أخرجه البخاري ومسلم](٥).

راوي الحديث:

أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نُفَيْل القرشي العدوي، فضائله جمّة، ومناقبه كثيرة، بشّره الرسول ﷺ بالجنة في غير حديث(٦)، وعَلِمَ المسلمون والمشركون مكانته بعد رسول الله وأبي بكر، كان إسلامه عزًّا، وهجرته نصرًا، وخلافته رحمة. تولى الخلافة عام ١٣ للهجرة حتى قُتل رضي الله عنه شهيدًا عام ٢٣ للهجرة، وكان قتله الباب الذي كُسر لتدخل الفتن بعده على الأمّة، وبكاه المسلمون: «كأنّما فقَدُوا أبْكارَ أولادِهم»(٧).

معاني الكلمات:

١- إنّما: أداة حصر.

٢- هجرته: الهجرة، بمعنى الترك.

وفي الشرع: ترك ما نهى الله عنه، ومنه الانتقال من دار الكفر إلى دار الإيمان.

الشرح:

---

(٥) أخرجه البخاري في سبعة مواضع من صحيحه، قاله النووي (شرح مسلم ١٣/ ٥٤) وهو أول حديث في صحيح البخاري وأخرجه مسلم كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» (١٣/ ٥٣ نووي).

(٦) ومع ذلك كان من خوفه رضي الله عنه أنه قال بعد أن طُعِن: «لو أنّ لي طِلاع الأرض ذهبًا لافتديتُ به من عذاب الله عزّ وجلّ قبل أن أراه» [أخرجه البخاري ٧/ ٤٣ فتح].

(٧) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند صحيح قاله الحافظ في الفتح (٧/ ٦٤).

أجمع العلماء على عِظَم شأن هذا الحديث، وأنه من الأحاديث التي عليها مدار الدين، فالأعمال لابد في قبولها من شرطين:

١. الإخلاص. ٢. المتابعة.

فلا عمل مقبولاً[٨] بغير نيّة. ولهذا كثر اهتمام السلف ـ رحمهم الله ـ بأعمال القلوب، وأهمها وأدقها الإخلاص.

وفي الصحيحين أنه ﷺ سئل عن الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله».

وفي صحيح مسلم في أول الناس يقضى يوم القيامة: «رجل استُشْهِدَ... فيقال: كذبتَ، ولكنّك قاتلتَ ليُقال: جريء، فقد قيل: ثم أُمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقيَ في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه، وقرأ القرآن... كذبتَ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأتَ القرآن ليقال قارئ، فقد قيل: ثم أُمر به... حتى أُلقي في النار، ورجل وسّع الله عليه... قال: كذبتَ ولكنك فعلتَ ليُقال: هو جواد، فقد قيل: ثم أُمر به... حتى أُلقي في النار». فإذا كان هذا حال من بذل نفسه، ومن بذل وقته وعلمه، ومن بذل ماله، فكان مصيرهم النار؛ لأن نيّتهم لم تكن لله، وإنما للرياء والسمعة، فكيف حال من كان دون ذلك في البذل ونيته لغير الله؟! نسأل الله الإخلاص، والصواب في القول والعمل.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشّرْك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه».

ومما ينبغي التنبيه عليه أن بعض الناشئة قد يكون بدأ في حفظ القرآن وطلب العلم بغير نية، فيقال له: لا عليك، استحضر النية الآن، وأنت مأجور على ما مضى لجهلك، وقد جاء عن غير

(٨) كانت مقبول، فصوبها الشيخ ابن جبرين ـ رحمه الله تعالى ـ.

واحد من السلف: طلبنا العلم بغير نية، ثم رزقنا الله النية بعد .

ما يستفاد من الحديث:

١ - عِظم شأن النية.

٢ - أن النية شرط في قبول الأعمال.

٣ - النيّة محلّها القلب، ولا يعلمها إلا الله.

* * * * *

الحديث الثاني

عن عبد الله بن عمر ب قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بُنِي الإسلامُ على خَمسٍ: شَهَادَةِ أن لا إله إلا الله، وأنّ محمدًا عبدُهُ ورَسُولُهُ، وإقَامَةِ الصّلاةِ وإيتَاءِ الزّكَاةِ، وحجِّ البيْتِ، وصَوْمِ رَمَضَانَ» [أخرجه البخاري ومسلم][٩].

راوي الحديث:

عبد الله بن عمر الخطاب، من علماء الصحابة وفقهائهم، وأحد السبعة المكثرين من رواية الحديث عن الرسول ﷺ[١٠]. لم يشارك في غزوة بدر، ولا أُحد لصغر سنّه، وشارك في الخندق، وما بعدها.

اشتهر بالعبادة، والخشية، قال نافع: كان ابن عمر إذا قرأ هذه الآية:] أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ Z [الحديد:١٦]؛ يبكي حتى يغلبه البكاء، وقال جابر رضي الله عنه: ما منّا أحد أدرك الدنيا إلا مالتْ به ومال بها، غير عبد الله بن عمر[١١].

وكان رضي الله عنه غاية في الإنفاق في سبيل الله، ما مات حتى أعتق ألف إنسان أو زاد[١٢]، وله مواقف في الإنكار على الحجاج بن يوسف.

---

(٩) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان رقم (٨) (١/ ٤٩ فتح) وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب أركان الإسلام ودعائمه العظام (١/ ١٧٧ نووي).

(١٠) جمعهم الناظم في قوله:

سبعٌ من الصحابة فُقْهُهُمْ قد نَقَلُوا من الحديث عن المصطفى مُعْظَمَهْ
أبو هريرةَ سعدٌ جابرٌ أنسٌ صِدِّيقَةٌ وابنُ عباسٍ كذا ابنُ عمرَ

(١١) وصححها ابن حجر الإصابة (٢/ ٣٣٩).

(١٢) قال الذهبي: إسنادها صحيح (سير أعلام النبلاء ٣/ ٢١٨) وكان ممن أعتق مولاه نافعًا وكان عبد الله بن جعفر قد عرض عليه عشرة آلاف ليشتريه فقال ابن عمر فهلا ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله. (السير ٣/ ٢١٧، قال الأرنؤوط: سندها صحيح).

مات رضي الله عنه سنة ٧٣ للهجرة وقيل ٧٤ وقد بلغ خمسًا وثمانين سنة.

معاني الكلمات:

١ - خمس: أي أركان.

٢ - لا إله إلا الله: نفي وإثبات، أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه.

الشرح:

الإسلام بناء متكامل، يقوم على أركان خمسة، أعظم هذه الأركان الشهادتان، وشهادة أن لا إله إلا الله لها شروط سبعة، هي: العلم، اليقين، الإخلاص، الصدق، المحبة، الانقياد، القبول، جمعها الناظم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع ... محبة وانقياد والقبول لها

وزِيد ثامنها الكفران منك بما ... غير الإله من الأوثان قد أُلها

«وأن محمدًا عبده ورسوله» فهو عبد الله، نَعَتَه ربه بالعبودية في أشرف المواضع وأعلاها: [! " # $ Z [الإسراء:١]، وهو خاتم النبيين والمرسلين وأفضلهم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة».

وكل من أدرك رسالته ولم يؤمن به ﷺ فهو من الخاسرين: [? @ A B Z K J I H G F E D C [آل عمران:٨٥]، أي: من أهل النار: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» [أخرجه مسلم رقم ٢٤٠]، والأركان الأربعة الباقية بدنية ومالية، وأعظمها الصلاة «إنّ بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» [أخرجه مسلم رقم ١٣٤]. وفي هذا الحديث تقديم ذكر الحج قبل الصوم، وفي رواية أخرى عند مسلم بتقديم الصوم، وهو الترتيب

الصحيح لهذه الأركان، وقد جاء في رواية لمسلم أن رجلاً سأل ابن عمر: ألا تغزو فقال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الإسلام بني . . .» وذكر الحديث.

ما يستفاد من الحديث:

١ - أنّ أركان الإسلام خمسة على لسان الرسول ﷺ.

٢ - عِظَمُ شأن الشهادتين، فبهما يدخل المرء في الإسلام.

٣ - أهميّة الصلاة، فهي أعظم الأركان بعد الشهادتين، وتاركها كافر عند كثير من العلماء.

* * * * *

الحديث الثالث

عن عائشة رضي الله عنها قالتْ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ» [أخرجه البخاري ومسلم](١٣).

راوي الحديث:

أمّ المؤمنين الصدّيقة بنت الصدّيق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها، المبرّأة من فوق سبع سماوات وأحبّ أزواج النبي ﷺ إليه(١٤)، وأعلم نساء الأمة، وأحد السبعة المكثرين من رواية الحديث، مات رسول الله ﷺ وهي ابنة ثماني عشرة سنة، وعاشت بعده أزيد من خمس وأربعين سنة، واحتاج الناس إلى علمها، وانتشر في الآفاق؛ عُرفت مع العلم والعبادة بالجود، بعث لها معاوية رضي الله عنه في خلافته بمئة ألف درهم، فما أمستْ حتى فرّقتها، فقالت لها مولاتها: لو اشتريتِ لنا منها بدرهم لحمًا؟ فقالت: ألا قلتِ لي(١٥). استأذنها ابن عباس رضي الله عنهما في مرض موتها فأذنت له فأثنى عليها خيرًا... فقالت: وددتُ أني كنت نسيًا منسيًّا(١٦). توفيتْ رضي الله عنها عام ٥٨ للهجرة. وقيل: ٥٧.

---

(١٣) أخرجه البخاري كتاب الصلح رقم(٢٦٩٧) (٥/ ٣٠١ فتح) ومسلم: كتاب الأقضية رقم(١٧١٨) (١٢/ ١٦ نووي).

(١٤) في الصحيحين عن عمرو بن العاص أنه سأل رسول الله ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «**عائشة**»، فقلت: من الرجال؟ قال: «**أبوها**». قال الذهبي: «وهذا خبر ثابت على رغم أنوف الروافض وما كان عليه السلام ليحب إلا طيّبًا. فمن أبغض حبيبي رسول الله ﷺ حري أن يكون بغيضًا إلى الله ورسوله» [السير ٢/ ١٤٢].

(١٥) صححها الذهبي في السير (١٢).

(١٦) أخرجه البخاري كتاب التفسير رقم(٤٧٥٣) (٨/ ٤٨٢ فتح).

معاني الكلمات:

أحدث: عمل. وفي رواية أخرى للحديث: «من عمل عملاً . . .» أخرجه مسلم.

أمرنا: المراد به هنا: شرعنا . ليس منه: أي ليس له أصل في الشرع.

ردّ: أي مردود باطل.

الشرح:

هذا الحديث أصل من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده العظام، وهو أصل في ردّ كل بدعه في الدين «كما أن حديث: «الأعمال بالنيات ميزان للأعمال في باطنها، فهو ميزان للأعمال في ظاهرها»[١٧]، وقد حذّر ﷺ من الإحداث في الدين: « . . . وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» أخرجه أبو داود والترمذي، وأخرج مسلم عن جابر مرفوعًا: «وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة» . والمراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، وأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة شرعًا، وإن كان بدعة لغة[١٨] .

وكما مرّ في شرح الحديث الأول أن كل عمل لابد لقبوله من شرطين: الإخلاص، والمتابعة، فمن أحدث في دين الله ما ليس منه، وزعم أنه أراد بذلك الأجر والدار الآخرة، فيقال له: لكن تخلّف الشرط الآخر للقبول، وهو موافقة هذه الفعل لما شرع الله، وشرعه رسوله ﷺ . وخرج بقوله: «في أمرنا» أمور الدنيا، فكل المحدثات في الدنيا ليست من البدع في الدين .

والمحدِث في الدين مستدرك على الشرع، والله تعالى يقول: [K L M N O P Q R S T U Z] [المائدة:٣]، وهو. أي المحدِث في الدين. زاعمٌ بفعله، لا بقوله أن رسول الله ﷺ. وحاشاه من ذلك. لم يبلّغ الرسالة كاملة.

---

(١٧) ابن رجب جامع العلوم والحكم ص(٥٦).

(١٨) ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٢٥٢).

وقد سلك صحابة رسول الله ﷺ، وسلف الأمة نهجه القويم في الكثير من محدثات الأمور، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم»[١٩]، وقال رضي الله عنه: «إنكم قد أصبحتم اليوم على الفطرة، وإنكم ستحدثون ويُحدث لكم، فإذا رأيتم محدثة فعليكم بالعهد الأول»[٢٠].

وكل من أحدث في دين الله ما ليس منه فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا.

ما يستفاد من الحديث:

١ - حرصه ﷺ على حماية الدين من البدع.

٢ - أن كل عمل محدث في الدين باطل مردود على صاحبه.

٣ - أن حسن النيّة ليس كافيًا لقبول العمل، بل لابدّ من موافقته الشرع.

٤ - أهمية الاتباع وترك الابتداع.

* * * * *

(١٩) عزاة الهيثمي إلى الطبراني في الكبير، وقال: رجاله رجال الصحيح: (مجمع الزوائد،١ / ١٨١).

(٢٠) وصححه ابن رجب، جامع العلوم والحكم، ص (٢٥٤).

الحديث الرابع

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ الحلالَ بيّنٌ، وإنّ الحرامَ بيّنٌ، وبينَهُما أُمورٌ مُشتبهاتٌ، لا يعْلَمُهُنّ كثيرٌ منَ النّاس، فمَن اتقى الشُّبُهاتِ فقدِ استبْرأَ لدِينِه وعِرْضِه، ومَنْ وقعَ في الشُّبُهاتِ وقعَ في الحرامِ[٢١]، كالرّاعِي يرْعَى حوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يرْتعَ فيه، ألا وإنّ لكلِّ مَلِكٍ حِمًى، ألا وإنّ حِمى اللهِ محارِمُه، ألا وإنّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلحتْ صلحَ الجسدُ كُلُّه، وإذا فسدَتْ فسدَ الجسدُ كُلُّه، ألا وهيَ القلْب». [أخرجه البخاري ومسلم][٢٢].

راوي الحديث:

النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي، هو وأبوه وأمّه مِنْ الصحابة، وأمّه: عَمْرَة بنت رواحة أخت عبد الله، رضي الله عنهم أجمعين. قيل هو أول مولود للأنصار بعد الهجرة، ولّاه معاوية على الكوفة، ثم قضاء دمشق، ثم واليًا على حمص، وكان خطيبًا مفوهًا، قُتل رضي الله عنه سنة ٦٥ للهجرة.

معاني الكلمات:

بيّن: واضح، ظاهر. مشتبهات: غير واضحة.

استبرأ: طلب البراءة. عرضه: العرض موضع المدح والذم من الإنسان.

الحمى: ما يحميه الملك من المرعى. يوشك: يقرب.

يرتع: يأكل ويشرب، ولا يكون الرّتع إلا في الوقت الخصب.

---

(٢١) جملة: «وقع في الحرام» ليست عند البخاري.

(٢٢) أخرجه البخاري كتاب الإيمان رقم(٥٢) (١/ ١٢٦ فتح) وفي البيوع (٢٠٥١) (٤/ ٢٩٠فتح) ومسلم: رقم(١٥٩٩) (١١/ ٢٧ نووي).

مضغة: قطعة من اللحم.

الشـرح:

هذا الحديث من أصول الدين، وعليه مدار كثير من الأحاديث، وله تعلق كامل بطعام الناس وشربهم ومكاسبهم، والتأكيد على صلاح القلب.

«إن الحلال بيّن وإنّ الحرام بيّن»، أي: هناك أمور حلال لا شكّ فيها، وأخرى حرام لا شك فيها، وبينهما أمور مشتبهة.

«لا يعلمهن كثير من الناس»: فيه دلالة على أن بعض الناس وهم العلماء يعرف حكمها أحياناً، وقد لا يتبين له هل هي حلال أم حرام، فمن اتقى هذه المشتبهات واجتنبها فقد صان دينه من النقص، وعرضه من الذمّ والعيب.

قوله: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»، أي: إما أنه قد يقع في الحرام أحياناً، وإما أن يعتاد التساهل مرة بعد أخرى، فيتدرّج حتى يقع في الحرام، كما قال بعض السلف: المعاصي بريد الكفر.

«كالراعي يرعى...»، أي: مثل هذا الذي يقع في الشبهات كمثل من يرعى حول حمى الملك، وهو الكلأ والمرعى الخصب الذي حماه الملك لنفسه، يوشك ويقرب من يرعى حوله أن يقع في المحظور، وهو حمى الملك! قال ابن حجر: «وفي اختصاص التمثيل بذلك نكتة: وهي أن ملوك العرب كانوا يحمون لمراعي مواشيهم أماكن مختصة يتوعدون من يرعى فيها.. بالعقوبة الشديدة، فمثّل لهم النبي ﷺ بما هو مشهور عندهم[٢٣].

«ألا»: وهي أداة تنبيه لما بعدها. «حمى الله محارمه»، أي: أن المحرمات هي حمى الله التي لا ينبغي القرب منها مخافة الوقوع فيها.

قال أهل العلم عن المشتبه: «وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه لأنه إن كان في نفس الأمر

---

(٢٣) فتح الباري (١/ ١٢٨).

حرامًا فقد برئ من تبعتها، وإن كان حلالًا فقد أُجر على تركها بهذا القصد»[٢٤] وقد قال ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك» رواه أحمد والنسائي والترمذي.

ومن العجب أن كثيرًا من الناس يحتاط لبدنه، ولا يحتاط لدينه، فتراه ربما ترك بعض ما أحل الله حفاظًا على صحته وبدنه، وفي المقابل يرتع في بعض المشتبهات، بل ربما المحرمات، سواء في المطعومات، أو المعاملات المالية، وما أحسن ما قاله عبد الله بن شُبرمة (ت١٤٤) رحمه الله تعالى: «عجبتُ للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء، ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار»[٢٥].

وأعجب من ذلك من لا يكتفي بالوقوع في المشتبهات والمحرمات، بل يدعو غيره إليها ويزّينها له، فإن رأى منه ترددًا قال: افعل ولا عليك وعلى مسؤوليتي!! [لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ... أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ] [النحل:٢٥]، [وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ...] [العنكبوت:١٣].

فلنكن لديننا أشد حذرًا منّا لأبداننا، فلو قيل لأحدنا إنّ هذا العمل محرّم، أو من المشتبهات لوجدته يعتذر لنفسه، ويبحث عن من يفتي له بحلّه، ولو قيل له إنّ الطعام الفلاني من مسببات المرض الفلاني حسب رأي أحد الأطباء، والآخرون من (أهل)[٢٦] التخصص نفسه يخالفونه لوجدته يبادر بأخذ رأي هذا الطبيب، ويدع رأي مخالفيه احتياطًا لنفسه، ولا حرج عليه في ذلك، لكن الحرج كلّه أن لا يكون احتياطه لدينه كاحتياطه لبدنه. وقسْ على ذلك في المعاملات المالية وغيرها.

---

(٢٤) فتح الباري (٥/ ٢٩١).

(٢٥) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٨).

(٢٦) إضافة من الشيخ الإمام ابن جبرين ـ رحمه الله تعالى ـ.

ثم ختم بأن: «في الجسد مضغة. . .»: فصلاح الجسد وفساده متوقف على هذه القطعة الصغيرة من اللحم. فهو ملك البدن والأعضاء جنوده[٢٧] فإن كان القلب سليمًا ظهر أثر ذلك على البدن، وإن كان فاسدًا فسدت الأعضاء. وربما هوّن البعض من أهمية الالتزام بالمظهر الشرعي بقوله: التقوى ها هنا، وهي كلمة حق، يراد بها ـ أحيانًا ـ باطل، فلو كان في قلب المستشهد بها تقوى لظهر أثر ذلك عليه.

ويقال أيضًا: كما أن محل التقوى القلب، فكذلك هو محل الفجور والفسوق.

فعلينا جميعًا أن نُعنى بصلاح قلوبنا، وتتلمس كل أمر يعين على ذلك، ونجتنب كل ما يفسده. وكما يسارع الواحد منّا إذا شعر بألم حسي في قلبه للنظر في سبب ذلك، وعمل الفحوصات الطبية مهما كان الثمن، فمن باب أولى أن نهتم بصلاحه المعنوي، وهو لا يتطلب منّا مالًا ولا جاهًا، وإنما نية صادقة، وعملًا صادقًا[٢٨].

وقد عظمت عناية السلف بصلاح قلوبهم، وتطهيرها من الشرك، والرياء، والحسد، والبغض، والكبر، والعُجْب، وغيرها من أمراض القلوب. نسأل الله أن يصلح قلوبنا وأعمالنا. آمين.

---

(٢٧) نسبة شيخ الإسلام إلى أبي هريرة رضي الله عنه (الفتاوى ١٣/ ٣٤، ٢٦٨).

(٢٨) إلى هنا وصل الشيخ الإمام عبد الله بن جبرين ـ رحمه الله تعالى ـ في قراءته لهذا الكتاب، فجزاه الله خيرًا، وأسكنه الفردوس.

فائدة:

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: «الناس أربعة في الورع، فمنهم ورع عن القليل والكثير، ومنهم ورع عن القليل وإذا أشرف على الكثير لم يتورع عنه، ومنهم ورع عن الكثير ويدنّس ورعه بالقليل، ومنهم من لا يتورع عن قليل ولا كثير». (تاريخ بغداد، ٦/١٩٦).

ما يستفاد من الحديث:

١ - أن الحلال ما أحله الله ورسوله ﷺ، والحرام ما حرمه الله ورسوله ﷺ، وكلاهما بيّن واضح.

٢ - توجد بعض الأمور غير الواضحة، يجهل حكمها كثير من الناس.

٣ - فيه فضيلة ظاهرة لأهل العلم؛ لأنهم بعلمهم يَعْرِفون حكم هذه المشتبهات.

٤ - الحثّ على اجتناب المشتبهات وليصون الإنسان دينه وعرضه.

٥ - أن من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه، فمن وقع في الشبهات يقرب أن يقع في الحرام.

٦ - أهمية العناية بصلاح القلب، فبصلاحه يصلح عمل المرء، وبفساده يفسد.

٧ - أن صلاح الظاهر مرتبط غالبًا بصلاح الباطن.

٨ - حرصه ﷺ على تقريب المعاني لأصحابه.

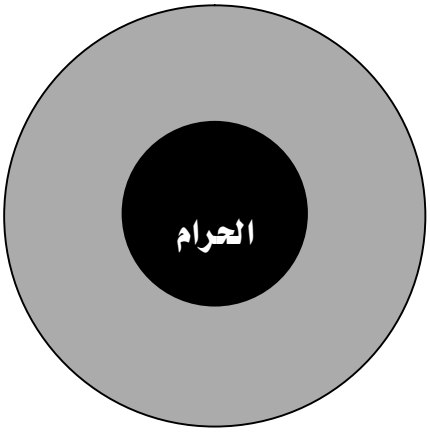

الحـــــــــلال

* * * * *

الحديث الخامس

عنْ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله تعالى؟ قال: «الصلاةُ على وَقْتِها»، قلتُ: ثمَّ أيٌّ؟ قال: «برُّ الوَالِدَيْنِ»، قلتُ: ثمّ أيٌّ؟ قال: «الجِهَادُ في سَبِيلِ الله» متفقٌ عليه[٢٩].

راوي الحديث:

عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السابقين إلى الإسلام، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ غزواته كلها. ومن المكثرين من رواية الحديث، ومن علماء الصحابة الكبار. قال رضي الله عنه: «والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزلت. ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه»[٣٠]، وأخذ من في رسول الله ﷺ بضعا وسبعين سورة[٣١].

وفي الحديث: «من سرّه أن يقرأ القران غضًّا كما أُنزل فليقرأه على قراءة ابن أمّ عبد»[٣٢]، وقال ﷺ: «لرِجْلُ عبد الله أثقل في الميزان يوم القيامة من أُحد»[٣٣]، وفضائله رضي الله عنه كثيرة.

ومن جميل كلامه: «رُبّ شهوة ورّثتْ حزنًا طويلًا»، «اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند

---

(٢٩) أخرجه البخاري في كتاب المواقيت رقم(٥٢٧) (٩١٢ فتح) وفي الجهاد (٢٧٨٢) وفي الأدب (٥٩٧٠) وفي التوحيد (٧٥٣٤) وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان رقم(٨٥) (٢/ ٧٢ نووي).

(٣٠) أخرجه البخاري رقم(٥٠٠٢) (٩/ ٤٧ فتح) ومسلم برقم(٢٤٦٢).

(٣١) أخرجه البخاري رقم(٥٠٠٠) (٩/ ٤٦ فتح) ومسلم برقم(٢٤٦٢).

(٣٢) أخرجه أحمد رقم(٣٥) وصححه أحمد شاكر.

(٣٣) أخرجه أحمد رقم(٩٢٠) وصححه ابن حجر (الإصابة ٢/ ٣٦٢) وأحمد شاكر.

سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة. فإن لم تجده في هذه المواطن فسلْ الله أن يمنّ عليك بقلب؛ فإنه لا قلبَ لك»[٣٤]! توفي رضي الله عنه سنة ٣٢للهجرة.

معاني الكلمات:

على وقتها: أي في وقتها. دون تأخير. ثم أي؟: ثم ماذا؟.

الشرح:

دلّت نصوص الشريعة على تفاضل الأعمال، وهنا ابن مسعود يسأل عن أفضل وأحبّ الأعمال إلى الله فيأتيه الجواب: «الصلاة على وقتها»، أي: في وقتها المحدد:] s t u v w x y Z [النساء:١٠٣]، فلا تصح قبل دخول الوقت بالإجماع، ولا بعد خروجه على الصحيح.

والصلاة عمود الدين فمن ضيّعها فهو لما سواها أضيع. ولذا عظمت عناية السلف بأدائها في وقتها، وإقامتها على وجهها الصحيح.

قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: «ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا مشتاق إليها» وقال: «ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء»[٣٥]. وقال سعيد بن المسيب: «ما أذّن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد»!![٣٦]. وقال ابن عيينة: «إن من توقير الصلاة أن تأتي قبلِ الإقامة»[٣٧]، وقال إبراهيم النخعي: «إذا رأيت الرجل يتهاون في التكبيرة الأولى فاغسِل يدك

---

(٣٤) نسبها إليه ابن القيم (الفوائد ص: ١٤٨).

(٣٥) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٨٤) الإصابة (٢/ ٤٦١).

(٣٦) طبقات الحنابلة (١/ ١٤١) قال الذهبي في السير: إسناده ثابت (٤/ ٤٢١)ولولا حُكْم الذهبي على هذا الأثر بالثبوت لما حسن إيراده.

(٣٧) صفة الصفوة (٢/ ١٥٧).

منه»[٣٨]! وكان سعيد بن عبد العزيز إذا فاتته صلاة الجماعة بكى[٣٩](!).

قال الشيخ ابن عثيمين: «حدّثني منْ أثق به أن هذا المسجد[٤٠] كان لا يؤذن لصلاة الفجر إلا وقد تمّ الصف الأول..»[٤١]!.

ثم: «برُّ الوالدين» وهو من أعظم القربات، وجاء الحثّ عليه في القرآن الكريم: h g [Z o n l k j i h g [[النساء:٣٦]، # " ! [Z n m l k j i [الإسراء:٢٣]، $ Z [الأحقاف:١٥]. فقرن الله جل وعلا بين الأمر بتوحيده وبين برّ الوالدين، وفي المقابل جعل عقوقهما من كبائر الذنوب: «ألا أُنبئكم بأكبر الكبائر؟ الإشراك بالله، وعقوق الوالدين..»[متفق عليه].

بل أمر بالإحسان إليهما حتى لو كانا مشركيْن، بل ويدعوانه إلى الشرك: X [h g f d c b a ` _ ^] \ [Z Y i Z [لقمان:١٥]، هذا وهما من دعاة الكفر، فكيف إذا كان مسلميْن، بل ومن دعاة الإسلام؟

وجعل برّهما من أسباب دخول الجنة: «رغِمَ أنف، ثم رغِم أنف.. من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أوكليهما فلم يدخل الجنة» [أخرجه مسلم]. وجعل للأمّ حقاً أعظم. أُمّك.. أُمّك.. أُمّك.. ثم من؟ قال: «أبوك» [متفق عليه].

---

(٣٨) صفة الصفوة (٣/٥٦) البداية والنهاية (٩/١٤٠).

(٣٩) السير (٨/٣٤).

(٤٠) جامع عنيزة.

(٤١) شرح رياض الصالحين (٣/٤٧).

وحمل رجل أُمّه وراء ظهره وجعل يطوف بالكعبة، ثم قال لابن عمر: أتراني جزيتها ؟ قال: لا، ولا بزفرة واحدة[٤٢].

وقد ضرب السلف رحمهم الله أروع الأمثلة في برّهم بوالديهم. قال ابن المسيب: «بلغنا أن أبا هريرة لم يكن يحج (يعني حج النفل) حتى ماتت أُمّه لصحبتها» [أخرجه مسلم(١١١٣٦نووي].

وقال الحسن البصري: «تعشّ العشاء مع أُمّك تقرّ به عينها أحبّ إليّ من حجة تحجها تطوعًا»[٤٣].

وقال محمد بن المنكدر: «بات أخي عمر يصلي، وبتُّ أغمزُ رِجْلَ أُمّي، وما أُحبُّ أنّ ليلتي بليلته»[٤٤].

وكان علي الجراعي(ت٨٥٩) وهو ابن ستين سنة لا يفعل شيئًا حتى يشاور والدته,ولا يروح موضعا إلا بإذنها[٤٥].

وترك غير واحد من العلماء الرحلة للاستزادة من طلب العلم لأجل الأم ولزومها وخدمتها، فبورك لهم في علمهم. كما في ترجمة:محمد بشار (بندار)، وحسن بن عبد الوهاب بن عبد الحكم، وابن عساكر، والذهبي، والشوكاني.

قال الإمام أحمد: «يرحل لطلب العلم إن كان لا يدري كيف يطلّق، وكيف يصلي، وإن كان قد عرف فالمقام عليها (يعني الوالدة) أحبّ إليّ»[٤٦].

قال علي بن إبراهيم بن سلمة (ت٣٤٥): خرجت إلى الرحلة أحفظ مئة ألف حديث ,وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مئة حديث! وأُصبتُ ببصري، وأظن أنني عوقبتُ بكثرة بكاء أُمّي

(٤٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني (صحيح الأدب رقم٩).

(٤٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/٢٣٢).

(٤٤) تاريخ ابن خيثمة (٢/٢٦٠) صفة الصفوة (٢/١٤٣) السير (٥/٣٥٩).

(٤٥) ذيل ابن الهادي على طبقات الحنابلة ص(٦٦) وفيه: قيل مات «الجراعي» وهو يصلي.

(٤٦) كتاب الورع ص(٧٢).

أيام فراقي لها في طلب الحديث[٤٧]! والغالب أنّ من عقّ والديه عقّه أولاده جزاءً وفاقًا.

وفي الأثر: «برّوا آباءكم تبرّكم أبناؤكم»[٤٨]، و«كما تَدِينُ تُدان»[٤٩].

قال ابن الجوزي: «وكان بعض العاقّين ضرب أباه وسَحَبَه إلى مكان، فقال له الأب: حَسْبُكَ إلى هاهنا سحبتُ أبي»![٥٠] ورأى زيد بن أسلم (ت١٣٦) شابًا يخنق شيخًا، وقد اجتمع الناس عليه، وذلك الشيخ والد الشاب! فقال: دَعُوه، فإنّي رأيتُ هذا الشيخ يخنق أباه في هذا الموضع[٥١]!.

وبرُّ الوالدين لا يتوقف على حياتهما بل حتى بعد مماتهما، جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله هل بقي من برّ أبويّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟ فقال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» [أخرجه أبوداود]. وعند مسلم: «إنّ أبرّ البر صلة الرجل أهل ودّ أبيه».

ثم: «الجهاد في سبيل الله»: وهو ذروة سنام الإسلام، وورد في فضله الكثير من الآيات والأحاديث:] إِنَّ ٱللَّهَ © مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ ´ µ ¶ ¸ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ Z [التوبة:١١١].

وقال ﷺ: «ما اغبرّت قدما عبدٍ في سبيل الله فتمسّه النار»[أخرجه البخاري]. و: «الجنة

---

(٤٧) معجم الأدباء (٣/٥٣٨).

(٤٨) ضعيف على شهرته بين الناس.

(٤٩) لا يصح مرفوعًا. انظر: فتح الباري (٨/١٥٦) و(١٣/٤٥٨).

(٥٠) صيد الخاطر ص(٤٦٩).

(٥١) اللمعات البرقية لابن طولون ص(١٤).

تحت ظلال السيوف»[أخرجه البخاري ومسلم]. و: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه..»[أخرجه مسلم]. والأحاديث كثيرة جدًا.

(ولم يَرِدْ في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه.. وهو مشتمل على جميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة)[٥٢]، و(من زعم أن الجهاد شُرِع للدفاع فقط فقد أخطأ)[٥٣].

قال النووي[٥٤]: «الصحيح أن الجهاد لم يزل فرض كفاية من حين شُرِع، وهذه الآية ظاهرة في ذلك لقوله تعالى:] 9 : ; < : > ? @ A B C D Z [النساء:٩٥].

ويكون الجهاد فرض عين في أربعة مواطن، وما عداها فهو فرض كفاية:

(١) إذا استنفر ولي الأمر المسلمين.

(٢) إذا حضر العدو بلدةً تعيّن على أهلها.

(٣) إذا حضر الصف.

(٤) إذا اُحتيج إلى الإنسان، كأنْ يكون سلاحًا لا يعرفه غيره[٥٥].

ومراتب الجهاد أربع: القلب، واللسان، والمال، والبدن[٥٦].

والجهاد لا يكون إلا بإذن الأبوين. وقد بوّب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه بقوله: باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، وأورد حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبي ﷺ: أُجاهد. قال: لك أبوان؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد»[٥٧]. وعنه قال: جاء رجل إلى

---

(٥٢) فتاوى ابن تيمية (٢٨/٣٥٣).

(٥٣) ابن باز فتاواه (١٨/٧٥).

(٥٤) شرح مسلم (١٣/٤٣).

(٥٥) انظرها بالتفصيل: شرح ابن عثيمين لرياض الصالحين (١/٣٢).

(٥٦) زاد المعاد (٣/٥٧١).

(٥٧) كتاب الأدب رقم(٥٩٧٢) (١٠/٤٠٣ فتح).

رسول الله ﷺ فقال: جئت أبايعك على الهجرة، وتركت أبويّ يبكيان، فقال: «ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما»[٥٨]. وجاء رجل فقال: أردتُ أن أغزو وجئت أستشيرك؟ فقال: «هل لك من أمّ»؟ قال: نعم، قال: «فالزمها، فإن الجنة تحت رجليها»[٥٩].

فها هو ﷺ يبيّن لمن سأله عن الجهاد أن يجاهد في والديه، أي في حاجتهما ومصالحهما، فسماه جهادًا، ونِعْم الجهاد هو، بل قدّم ﷺ حاجة الزوجة أحيانا على الجهاد، فعَن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يخلونّ رجل بامرأة، ولا تسافرنّ امرأة إلا ومعها محرم»، فقام رجل فقال: يا رسول الله اكتتبتُ في غزوة كذا وكذا وخرجت امرأتي حاجة، قال: «اذهب فاحجج مع امرأتك» [متفق عليه]، واللفظ للبخاري[٦٠].

فلم يأمره ﷺ أن يذهب ليعيد زوجه ثم يلحق بالجهاد، بل أمره أن يلحق ليحج مع امرأته ويترك اكتتابه في تلك الغزوة. هذا والجهاد في الأحاديث السابقة مع الرسول ﷺ فكيف لو كان مع غيره؟

وقد أخرج مسلم في صحيحه عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من سأل الله الشهادة بصدق، بلغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه»[٦١].

ما يستفاد من الحديث:

١ - حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما ينفعهم؛ ليعملوا به.

٢ - فضل أداء الصلاة على وقتها، وأن ذلك من أحبّ الأعمال إلى الله.

٣ - عِظَمُ حقّ الوالدين، وأنّ برهما من أفضل الأعمال.

٤ - فضل الجهاد في سبيل الله.

---

(٥٨) أخرجه أبو داود رقم(٢٥٢٨) والبيهقي (٩/٢٦).

(٥٩) أخرجه أحمد (٣/٤٢٩) والنسائي رقم(٣١٠٦) (٦/١١ شرح السيوطي).

(٦٠) البخاري رقم(١٨٦٢) و(٣٠٠٦) و(٣٠٦١) و(٥٢٣٣) ومسلم برقم(١٣٤١).

(٦١) رقم (١٩٠٩).

٥ - «حسن المراجعة في السؤال، وصبر المفتي والمعلِّم على من يفتيه أو يُعلّمه»[٦٢].

* * * * *

(٦٢) النووي شرح مسلم (٢/٧٩).

الحديث السادس

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، ومَنْ كان في حَاجةِ أخيه كانَ اللهُ في حاجته، ومَنْ فرّج عن مسلم كُرْبةً فرّج الله عنه بها كُرْبةً مِنْ كُرُبَاتِ يَومِ القيَامة، ومَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله يومَ القِيَامَة» متفقٌ عليه(٦٣).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثاني رضي الله عنه. ويضاف إلى ما هناك: ما أخرجه البخاري في صحيحه أنه (ابن عمر) رأى رؤيا فقصّها على أخته حفصة فقصّتها على رسول الله ﷺ فقال: «نِعْم الرَّجل عبد الله لو كان يصلي من الليل»، فكان بعدها لا ينام من الليل إلا القليل(٦٤)! وقال ابن المسيّب: لو شهدتُ لأحدٍ [أنه] من أهل الجنة لشهدت لابن عمر(٦٥).

وكان رضي الله عنه ما ذكر رسول الله ﷺ إلا بكى، ولا مرّ على رَبعهم إلا غمّض عينيه(٦٦).

ومرّ براعٍ فقال له: بعني شاة من الغنم. قال: إني مملوك. قال [مختبرًا له]: قل لسيّدك: أكلها الذئب. قال: فأين الله عز وجل؟! قال ابن عمر: فأين الله! ثم بكى، ثم اشترى الراعي وأعتقه، واشترى الغنم ووهبها له(٦٧).

ولما بُويع يزيد بن معاوية بالخلافة قال: إن كان خيرًا رضينا، وإن كان بلاءً صبرنا(٦٨).

---

(٦٣) أخرجه البخاري كتاب المظالم رقم(٢٤٤٢) ومسلم كتاب البرّ والصلة رقم(٢٥٨٠).

(٦٤) كتاب المناقب، برقم (١١٢١ ـ ١١٢) و(٣٧٣٨، ٣٧٣٩).

(٦٥) صححه ابن حجر وعزاه إلى معجم البغوي الإصابة (٢/ ٣٣٩).

(٦٦) صححه ابن حجر وعزاه إلى الزهد للبيهقي الإصابة (٢/ ٣٣٩).

(٦٧) أورده الهيثمي في المجمع (٩/ ٣٤٧) وعزاه إلى الطبراني وقال: رجال رجال الصحيح.

(٦٨) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٢٥).

وترجمته رضي الله عنه حافلة، فحريّ بطالب العلم أن ينظر فيها .

معاني الكلمات:

لا يظلمه: لا ينقصه في ماله، ولا بدنه، ولا عرضه.

لا يسلمه: لا يتركه لمن يظلمه. فرّج: أزال وخفّف[٦٩].

كربة: كل ما يُشغل الإنسان من الهمّ والغمّ.

الشرح:

يبين هذا الحديث حقيقة الأخوّة، وأن المسلم أخو المسلم، كما قال تعالى:] إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ Z [الحجرات:١٠].

«لا يظلمه» وهو خبر بمعنى الأمر. و«الظلم» هو النقص. قال تعالى:] كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا Z [الكهف:٣٣].

والنقص: «إما ترك واجب، وإما فعل محرم»[٧٠]. فلا يظلمه بأي صورة كانت.

«ولا يُسلمه»، أي: ولا يدعه ويسلمه لمن ينقصه شيئًا من حقه، بل ينصره ويدفع عنه الظلم «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلومًا، فكيف ننصره ظالمًا ؟ قال: «تأخذ فوق يديه»[٧١].

و«من تركه يجوع ويعرى. وهو قادر على إطعامه وكسوته. فقد أسلمه»[٧٢]، ويدخل فيه.

---

(٦٩) علّق الشيخ عبد العزيز السدحان ـ جزاه الله خيرًا ـ بقوله: قرأت: أنّ هذا المعنى: «خفّف» لـ: «نفّس» أمّا: «فرّج» فهو بمعنى: «أزال».

(٧٠) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٢/٥٩٦).

(٧١) أخرجه البخاري رقم(٢٤٤٤).

(٧٢) ابن حزم المحلى (٦/١٥٧).

وهو أولى. من ترك أخاه المسلم بعد تلبّسه ببعض المعاصي وظهور الانحراف عليه، فيُسْلمه للشيطان والنفس الأمّارة بالسوء.

«ومن كان في حاجة أخيه»، أي: من كان يسعى لمساعدة أخيه وقضاء حاجاته، «كان الله في حاجته» فيسهّل الله له حاجاته، ويعينه عليها، والجزاء من جنس العمل.

وفي رواية لمسلم: «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

«ومن فرّج عن مسلم..»، أي: من أزال أو خفّف عن مسلم ما يكربه من الهمّ والغمّ، كأن يكون في كربة مالية، من دَيْن، أو إيجار مسكن، أو تكاليف علاج، أو غيرها من الكربات الحسية، والمعنوية فيساعده في تفريج هذا الضيق، فإن الله يكافئه على هذا العمل بأن يفرّج عنه من كُرب يوم القيامة، ويا لها من كربات، وكربات! جاء في ترجمة عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان أنه كان يشتري أهل البيت (من الأرقّاء)، ثم يأمر بهم فيُكسون ثم يدهنون ويعرضون عليه، فيقول: أنتم أحرار لوجه الله، استعين بكم على غمرات الموت. فختم له رحمه الله بخاتمة حسنة فمات وهو يصلي[٧٣]. نسأل الله من فضله.

«ومن ستر مسلمًا..»، أي: ستر عليه عيبه فلم يُخبر به أحدًا، ولا يعني هذا ترك الإنكار عليه برفق وعلى إنفراد.

«ومن ذلك أيضًا أن تستر عنه العيب الخَلْقي... كجروح مُؤثّرة في جلْده، أو برص، أو بهق أو ما أشبه ذلك، وهو يتستر ويحب ألا يطّلع عليه الناس فإنك تستره... فالستر بالنسبة للأعمال السيئة التي يقوم بها الإنسان ينقسم إلى قسمين:... من شخص منهمك في المعاصي مستهتر، فهذا لا نستر عليه. وقسم آخر حصل منه هفوة، فهذا هو الذي نستر عليه»[٧٤].

ومفهوم المخالفة لهذا الحديث أن من لم يكن كذلك مع أخيه المسلم مع القدرة، أنه يكافأ بجنس عمل. وقد قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [متفق عليه].

(٧٣) صفة الصفوة (٢/ ١٠٢) التهذيب (٦/ ١٣).

(٧٤) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٦٨).

ما يستفاد من الحديث:

١ - تحريم ظلم المسلم، وخذلانه.

٢ - الحث على تعاون المسلمين فيما بينهم.

٣ - عِظَم أجر من قام بهذه الأعمال، وما شابهها.

٤ - الجزاء من جنس العمل.

* * * * *

الحديث السابع

عن معاويةَ بن أبي سُفْيان رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ يُرِدْ الله به خَيْرًا يُفَقِّهْه في الدِّين» متفقٌ عليه(٧٥).

راوي الحديث:

معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب القُرشي الأُموي، أمير المؤمنين، وأحد كتبة الوحي، وأمّه هند بنت عتبة. هو وأبوه وأمه من الصحابة، أسلم عام فتح مكة، ولاّه عمر بلاد الشام بعد موت أخيه يزيد بن أبي سفيان، وبقي واليًا عليها عشرين سنة، ثم تنازل له الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة عام ٤١ للهجرة وسُمّي عام الجماعة. وهو أول ملوك المسلمين، ومؤسس دولة بني أمية. اشتهر بالحِلم، والدهاء، والكرم. مات رضي الله عنه سنة ٦٠ للهجرة.

معاني الكلمات:

يفقهه: الفقه العلم والفهم، وغلب على علم الدين لشرفه.

الشرح:

«طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحّت نيته»(٧٦)، وفي هذا الحديث الموجز المفيد يبيّن الرسول ﷺ فضل من طلب العلم. فكل من تراه يطلب العلم الشرعي فقد أراد الله به خيرًا، والنّية أمرها إلى الله.

«ومفهوم الحديث أن من لم يتفقّه في الدين. أي يتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع. فقد حُرم الخير»(٧٧).

---

(٧٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم رقم(٧١) ومسلم في كتاب الزكاة رقم(٢٣٨٩).

(٧٦) تُنسب للإمام أحمد المنهج الأحمد (١/ ٤٥١).

(٧٧) فتح الباري (١/ ١٦٥).

والآيات والأحاديث الواردة في فضل العلم كثيرة جدًا، منها قوله تعالى:] 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ Z [آل عمران:١٨]، وقد استنبط العلامة ابن القيم رحمه الله من هذه الآية عشرة أوجه في فضل العلم وأهله[٧٨]، وقوله تعالى:] 0 1 2 3 Z [طه:١١٤]، فلم يأمر الله نبيه ﷺ بطلب الازدياد من شيء إلا العلم، وقوله تعالى:] هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ Z [الزمر:٩]، وغيرها من الآيات.

ومن الأحاديث قوله ﷺ: «. . . ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله به طريقًا إلى الجنة. .» [أخرجه مسلم].

وتأمل هذا الحديث العظيم عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد يخرج يطلب علمًا إلا وضعت له الملائكة أجنحتها، وسُلك به طريق إلى الجنة، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في البحر، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكنهم ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍ وافر» [أخرجه أبو داود وابن ماجه والدارمي].

ولذا فضّل العلماء طلب العلم على نوافل العبادات. وفي الحديث: «فَضْلُ العلم أحبّ إليّ من فضل العبادة، وخير دينكم الورع»[أخرجه الطبراني وحسنه المنذري، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي][٧٩].

و«العلم من أفضل الرزق الذي ينتج عن التقوى، قال تعالى:] L M N O P Q R S T Z [الأنفال:٢٩].

وأحسن ما قيل في تفسير الفرقان أنه ما يحصل للعبد من نور العلم الذي يفرق به بين الحق والباطل»[٨٠].

---

(٧٨) انظرها في: مفتاح دار السعادة (١/٤٨) دار الكتب العلمية.

(٧٩) العلم لابن أبي خيثمة تحقيق الألباني ص(٩).

(٨٠) ابن باز فتاواه (٦/٣١١).

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: «الناس يحتاجون إلى العلم، مثل الخبز والماء؛ لأنّ العلم يُحتاج إليه في كل ساعة، والخبز والماء في كل يوم مرة أو مرتين»[٨١]. وقد قيل: «من فاته العلم ماذا أدرك؟ ومن أدرك العلم ماذا فاته؟»[٨٢].

فوائد:

١- فضل العلم وأهله.

٢- فضل التفقّه في الدين على سائر العلوم.

٣- أنّ من لم يتفقّه في الدين، ولم يحرص على التفقه فيه؛ فإن الله لم يُرد به خيرًا.

* * * * *

(٨١) طبقات الحنابلة (١/ ١٤٦).

(٨٢) أبجد العلوم (١/ ٩٦).

الحديث الثامن

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الصّدْقَ يَهْدِي إلى البرّ، وإنّ البرّ يَهْدي إلى الجنّة، وإنّ الرّجل لَيَصْدُق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا، وإنّ الكذِبَ يَهْدي إلى الفُجُور، وإنّ الفُجورَ يهدي إلى النّار وإنّ الرّجل لَيَكْذِب حتى يُكتبَ عند الله كذابًا» متفقٌ عليه(٨٣).

ترجمة الراوي:

سبقت ترجمته في الحديث الخامس، ويضاف إلى ما هناك: ما أخرجه البخاري عن حذيفة قال: «ما أعرف أحدًا أقرب سمتًا وهديًا ودلًا بالنبي ﷺ من ابن أُمِّ عبد»، يعني: ابن مسعود.

وأخرج مسلم عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينًا ما نرى إلا أن عبد الله بن مسعود رجل من أهل بيت النبي ﷺ، لما نرى من دخوله ودخول أُمّه على النبي ﷺ».

ومنها ما أخرجاه عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «استقرئوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود. فبدأ به. ومن أُبيّ بن كعب، ومن سالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل».

معاني الكلمات:

البرّ: هو الخير، وهو اسم جامع للخيرات كلها. يهدي: يوصل.

الفجور: أصل الفجر الشق، فالفجور شق ستر الديانة، ويطلق على الميل إلى الفساد، وهو اسم جامع للشر.

---

(٨٣) أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم(٦٠٩٤)وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة وزاد في رواية له: «...ويتحرى الصدق...ويتحرى الكذب...» رقم (٢٦٠٧).

الشـرح:

جاء الإسلام بالحثّ على مكارم الأخلاق، واجتناب مساوئها، ومن هذه الأخلاق: الصدق:] B C D E F G H I Z [التوبة:١١٩]، وهي خصلة كان العرب في جاهليتهم يحرصون على التمسك بها، ففي حديث أبي سفيان المشهور مع هرقل، وسؤالاته له، وكان أبوسفيان إذ ذاك مشركاً، قول أبي سفيان: «فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ (أي من معه من قومه) كذبًا لكذبت عنه»(٨٤).

ولذا لمّا أُمر ﷺ بالصدع بالدعوة، صعد الصفا ونادى بطون قريش وقال لهم: «أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلًا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقيّ؟» قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقًا(٨٥)، فكانت شهادتهم الجماعية له بأنه لا يقول إلا الصدق حجةً عليهم لما قال لهم: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». وهذا من حكمته ﷺ في الدعوة.

«إن الصدق يهدي إلى البرّ»، أي: الصدق موصل إلى الخير، وبالتالي إلى الجنة وهي الغاية التي يسعى إليها كل مسلم. ومصداق ذلك قوله تعالى:] z { | { Z [المطففين:٢٢].

«وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدّيقًا»، أي: يصدق دائمًا ويتحرّى الصدق حتى يكون صدّيقًا عند الله وعند الناس، وهو اسم مبالغة، وما أعظمها من صفة، أن يُكتب الرجل صدّيقًا عند الله:] 6 7 8 9 Z [الأحزاب:٢٤].

و«الصدق يكون باللسان ويكون بالأركان، فمتى طابق الخبر الواقع فهو صدق باللسان، ومتى طابقت أعمال الجوارح ما في القلوب فهي صدق بالأفعال»(٨٦).

وقد كذّب الله عز وجل المنافقين لأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم:] ` a

---

(٨٤) البخاري كتاب بدء الوحي رقم(٧).

(٨٥) البخاري كتاب التفسير رقم(٤٧٧٠).

(٨٦) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (١/ ٢٩٤).

p o n m l k j i g f e d c b
q Z [المنافقون:١].

وفي المقابل: «وإن الكذب يهدي إلى الفجور»: والفجور: هو الخروج عن طاعة الله، فالكذب موصل إلى ذلك، وبالتالي إلى النار، جزاءً وفاقا، والجزاء من جنس العمل.

«ولا يصح تقسيم من قسّم الكذب من العامة إلى كذب أبيض وكذب أسود.. فالكذب كله أسود»، «ولكن لاشك أن الكذب تتفاوت مراتبه، وإذا تفاوتت مراتبه تفاوتت عقوباته»[٨٧]، ولم يرخّص الشارع الحكيم في الكذب إلا في أمور ثلاثة، كما في حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط قالت: ولم أسمعه يعني رسول الله ﷺ يرخّص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: تعني الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» [أخرجه مسلم].

والكذب من كبائر الذنوب، أخرج البيهقي في «الشُّعب» بسند صحيح عن أبي بكر رضي الله عنه: «الكذب يُجانب الإيمان» وأخرجه مرفوعًا، وقال: الصحيح الموقوف[٨٨]. وجعل الكذب من علامات المنافق: «..وإذا حدّث كذب» [متفق عليه].

وفي حديث رؤياه الطويل ﷺ. ورؤيا الأنبياء حق.: «....فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلّوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيصنع مثله. قلت: ما هذا؟...قالا:..أما الذي رأيته يُشق شدقه فكذّاب يُحدّث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيُصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة...»[٨٩] [أخرجه البخاري].

فانظر إلى هذا الوعيد الشديد، وليحذر من يفتري الكذب على غيره، وينشر كذبته في

(٨٧) ابن عثيمين أحكام من القرآن الكريم (١/ ٦١).

(٨٨) فتح الباري (١٠/ ٥٠٨).

(٨٩) وقد بلغ من انتشار الكذبة في الآفاق في هذا العصر ما لم تبلغه أي عصر مضى وذلك عبر الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) والصحافة، والهاتف، وغير ذلك من وسائل الاتصال.

الآفاق، ويعظم الإثم إذا كان المفترى عليه من ولاة الأمر من العلماء والحكام؛ ليضعف مكانتهم في النفوس، ولا يخفف من هذا أن يكون السامعون على علم بأن هذا كذب، وإنما المراد إضحاكهم، وقد جاء الوعيد في ذلك، كما في قوله ﷺ: «ويل للذي يُحدّث فيكذب ليُضحك به القوم، ويل له، ويل له» [أخرجه أبو داود، والترمذي][٩٠].

وليحذر أيضاً من يسمع بالكذبة ثم ينشرها، ويجعل العهدة على الراوي، وقد قال ﷺ: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع» [أخرجه مسلم في المقدمة].

وقد حفل التاريخ بقصص الصادقين، وعاقبتهم الحميدة، ومن أصحها وأشهرها: قصة الثلاثة الذين خُلفوا في غزوة تبوك، كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله عنهم.

وفي الحديث قول كعب: «وعرفتُ أني لن أخرج منه أبدًا بشيء فيه كذب، فأجمعتُ صِدْقه»، وفيه قوله ﷺ: «أمّا هذا فقد صدق..»، وفي آخره قول كعب: «فو الله ما أعلم أحدًا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمّدت منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبًا»[٩١].

وهذا ربعي بن حراش - وهو من التابعين - كان له ابنان عاصيان زمن الحجّاج، فقيل للحجاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه أين ابناك؟ قال: هما في البيت، قال: عفونا عنهما لصدقك[٩٢].

وقال الغازي بن قيس (ت ١٩٩): والله ما كذبت كذبة منذ اغتسلت، ولولا أن عمر بن عبد العزيز قاله ما قلته[٩٣].

قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: «الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس

---

(٩٠) برقم (٤٩٩٠) (٣٠١٥) وصححه الشيخان ابن باز فتاواه (٦/٣١٩) والألباني في صحيح الجامع.

(٩١) أخرجه البخاري ومسلم وهي قصة مليئة بالفوائد.

(٩٢) تاريخ بغداد (٨/٤٣٣).

(٩٣) الديباج المذهّب في معرفة أعيان علماء المذهب ص(٣١٤).

السيئات ونظامها»[٩٤].

ما يستفاد من الحديث:

١ - الحثّ على الصدق.

٢ - أنه موصل إلى الجنة.

٣ - أن من عُرف بكثرة الصدق استحق أن يُكتب صديقًا.

٤ - التحذير من الكذب.

٥ - أنه موصل إلى النار.

٦ - أن من عُرف بكثرة الكذب استحق أن يُكتب كذّابًا.

* * * * *

(٩٤) الفتاوى (٢٠/ ٧٤).

الحديث التاسع

عن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال في خُطْبَتِه يومَ النّحْرِ في حجّة الوَدَاع: «إنّ دِمَاءَكُم وأَمْوَالَكم وأعْرَاضَكم، حَرامٌ عليكم كَحُرْمَةِ يومِكم هَذا، في شَهْرِكُم هذا، في بَلدِكم هذا، ألا هل بَلغت» متفقٌ عليه(٩٥).

راوي الحديث:

أبو بكرة نُفيع بن الحارث الثقفي، من موالي النبي ﷺ، أسلمَ في حصار الطائف، بعد أن تدلّى إلى المسلمين ببكرة. روى عددًا من الأحاديث. سكن البصرة.

قال الحسن البصري: لم ينزل البصرة أفضل من أبي بكْرة وعمران بن حصين. كان من فقهاء الصحابة، وممن اعتزل الفتنة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما. مات سنة ٥١، وقيل ٥٢ للهجرة رضي الله عنه.

معاني الكلمات:

يوم النحر: يوم العاشر من ذي الحجة، وهو يوم الحج الأكبر.

أعراضكم: العِرْض موضع المدح والذمّ من الإنسان.

بلدكم هذا: مكة.

الشرح:

جاء الإسلام بحفظ الحقوق الخمس: الدين، والنفس، والعرض، والمال، والنسل، وهذا من عظمة هذا الدين، فهو يأمر بحفظ المسلم المعصوم الدم في حياته، وبعد مماته، في حضوره، وغيبته. وقد أعلن ذلك الرسول ﷺ في أكبر تجمّع بشري في حياته، ألا وهو: «حجة الوداع» أمام عشرات الآلاف من الناس، وفدوا إليه من أنحاء الجزيرة العربية.

وقد جاء تحريم ذلك في الكتاب والسنة:]) (* + , - .

---

(٩٥) أخرجه البخاري كتاب الحج رقم(١٧٤١) ومسلم: كتاب القسامة والمحاربين رقم(١٦٧٩).

= < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 /
e d c [Z @ ? > [الفرقان: ٦٨ – ٦٩]. وقال تعالى:
p o n m l k j i h g f
*) [Z r q [النساء:٩٣]، بل جعل قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعًا:
6 5 4 3 2 1 0 / . - , +
Z ; : 9 8 7 [المائدة: ٣٢].

وقال الرسول ﷺ: «لا يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يُصبْ دمًا حرامًا». [أخرجه البخاري].

وأخبر أن: «أول ما يقضى بين الناس في الدماء» [أخرجه البخاري ومسلم]، وجعلها من الموبقات: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس..» [أخرجه البخاري]. و«الدماء المحرّمة أربعة أصناف: دم المسلم، ودم الذّمي، ودم المعاهد، ودم المستأمن، وأشدّها وأعظمها دم المؤمن»[٩٦] وحرّم ماله: «من اقتطع حقّ امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة» فقال رجل: يا رسول الله: وإن كان شيئًا يسيرًا ؟ فقال: «وإنْ قضيبًا من أراك» [أخرجه مسلم].

وقال: «إنّما أنَا بَشَرٌ، وإنّكم تَخْتصمونَ إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحنَ بحُجتّه مِنْ بعض، فاقضي له بنحو ما أسمع، فمن قضيتُ له بحقّ أخيه شيئًا فلا يأخذه، فإنّما أقطع له قطعة من النار، فليأخذها أو ليتركها» [أخرجه البخاري ومسلم].

وحرّم عرضه وجعله من الكبائر: «إن من أربى الرّبا الاستطالة في عِرْضِ المسلم بغير حق». [أخرجه أبو داود].

وجعل من اغتاب مسلمًا كأنما أكل من لحمه: قال تعالى:] / 0 1 2 4

(٩٦) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٤/ ٦٥٤).

5 6 7 8 9 : ; Z [الحجرات: ١٢]. ولما قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ: «حسبك من صفيّة كذا وكذا». قال بعض الرواة: تعني قصيرة، فقال: «لقد قلتِ كلمة لو مُزجت بماء البحر لمزجته...» [أخرجه أبو داود].

قال النووي رحمه الله: «وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث يبلغ في الذمّ لها هذا المبلغ»[٩٧].

وكثير من المسلمين اليوم. للأسف. يستهين بالوقيعة في عرض أخيه المسلم، فتجده شديد الورع في بعض المباحات، وربما سأل عن الطعام، ومصدره، ولكنه لا يتورع عن الأكل من لحم أخيه المسلم!.

قال ابن الجوزي (ت٥٩٧). رحمه الله.: «رأيتُ كثيرًا من الناس يتحرزون من رشاشة نجاسة، ولا يتحاشون من غيبة..»[٩٨]، وقال ابن القيم (ت٧٥١). رحمه الله.: «ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام والظلم والزنى والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه.. وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي بما يقول»[٩٩]!.

ورحم الله امرءًا شُغل بنفسه عن غيره.

ذُكر رجلٌ عند الإمام أحمد فقال: «في نفسي شغل عن ذكر الناس» «وأثنى على رجل، فقيل له: قولكَ فيه خلاف قوله فيك، فتبسّم وقال: ما أعلم إلا خيرًا، هو أعلم وما يقول، تريد أن أقول ما لا أعلم؟ رحم الله سالمًا. ابن عبد الله بن عمر. زحمتْ راحلته راحلة رجلٍ فقال الرجل

---

(٩٧) الأذكار ص(٣٠٠).

(٩٨) صيد الخاطر ص(١٦٧).

(٩٩) الجواب الكافي ص(١٨٧).

لسالم: أراك شيخ سوء . قال: ما أبعدتَ»[١٠٠]! .

قال أبو عاصم النبيل الضحّاك بن مخلد: ما اغتبتُ أحدًا منذ عقلت أنّ الغيبة حرام[١٠١]، وورث هذا الهديَ تلميذُه الإمام البخاري، فكان يقول: «أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبتُ أحدًا»[١٠٢] .

فائدة:

استثنى العلماء بعض الحالات التي تجوز فيها الغيبة، فصّلها الإمام النووي رحمة الله في «رياض الصالحين» باب ما يباح من الغيبة، وفي شرحه لصحيح مسلم[١٠٣] . وكذا في الأذكار[١٠٤] .

وقد جمعها الناظم بقوله:

والقدح ليس بغيبة في ستةٍ ... مُتظلِّمٍ ومعرِّفٍ ومحذِّر

ولمظهرٍ فسقًا ومستفتٍ ومن ... طلب الإعانة في إزالة منكر[١٠٥]

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم دماء المسلمين، وأموالهم، وأعراضهم.

---

(١٠٠) الورع ص(١٩٠).

(١٠١) سير أعلام النبلاء (٩/٤٨٢).

(١٠٢) سير النبلاء (١٢/٤٣٩).

(١٠٣) (١٦/١٤٢).

(١٠٤) ص (٣٠٣).

(١٠٥) غذاء الألباب للسفاريني (١/١٠٩).

٢- بيانه ﷺ ذلك في هذا المجتمع العظيم.

٣- حرص الإسلام على حفظ الضروريات الخمس وهي: الدين، النفس، العقل، العِرْض، المال.

فائدة:

للإمام الشوكاني. رحمه الله تعالى. رسالة نافعة، بعنوان: «رَفْعُ الرِّيبة فيما يجوز وما لا يجوز من الغيبة» وهي في الرسائل المُنيريّة (٤٨/١) وفي الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٥٥٥٧/١١).

* * * * *

الحديث العاشر

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الجَنّةَ مَنْ كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قال رجُلٌ: إنّ الرَّجلَ يُحِبُّ أنْ يكونَ ثَوْبُه حَسَنًا ونَعْلُهُ حَسَنَة. قال: «إنّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحقِّ وغَمْطُ النّاسِ»، أخرجه مسلم(١٠٦).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الخامس، والحديث الثامن.

معاني الكلمات:

مثقال: وزن.

ذرّة: صِغار النّمل، وقيل: ما ليس لها وزن، ويُراد بها ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة.

بطر الحق: ردّه وإنكاره ترفّعًا وتجبرًا. غمط الناس: احتقارهم.

الشرح:

هذا الحديث فيه وعيد شديد لمن كان في قلبه شيء من الكِبْر، وإن كان يسيرًا. والكِبْر خصلة مذمومة، وعاقبته أليمة. قال الرسول ﷺ: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلّ جوّاظ متكبر» متفق عليه.

وقال: «يُحشر المتكبّرون يوم القيامة أمثال الذّر في صور الرجال، يغشاهم الذّل من كل مكان، يُساقون إلى سجن في جهنم يُسمى بُولس تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(١٠٧).

---

(١٠٦) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر رقم(٩١).

(١٠٧) أخرجه الإمام أحمد (٦٦٧٧) والترمذي (٢٤٩٢) واللفظ له وقال: حسن صحيح وحسنه الحافظ العراقي (تخريج الإحياء ٢٠١٧/٥) وصححه أحمد شاكر وحسّنه الألباني صحيح الجامع (٧٨٩٦).

فالجزاء من جنس العمل، فكما كان هؤلاء المتكبّرون يَنظرون للناس في الدنيا بازدراءٍ واحتقار كأنّهم الذرّ، فإنّهم يُحشرون يوم القيامة كأمثال الذرّ لكن في صُوَرِ الرّجال! «فالذي في قلبه كِبْرٌ، إما أن يكون كِبْرًا عن الحقّ وكراهة له، فهذا كافر مخلّد في النار، ولا يدخل الجنة، لقوله تعالى:] ، بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ Z [محمد:٩].

وأما إذا كان كِبْرًا على الخلق وتعاظمًا على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولاً كاملاً مطلقًا لم يُسبق بعذاب، بل لابدّ من عذاب على ما حصل من كِبْره وعلوائه على الخلق، ثم إذا طُهّر دخل الجنة»[١٠٨].

فلما حدّث الرسول ﷺ بهذا الحديث ظنّ رجل ممّن سمعه أن عناية الرجل بثوبه ونعله من الكبر، فقال ﷺ: «إن الله جميل . .» جميل في ذاته، جميل في أفعاله، جميل في صفاته، كل ما يصدر عن الله عز وجل فإنه جميل «يُحبّ الجمال» يحب التجمل، بمعنى: أنه يحبّ أن يتجمل الإنسان في ثيابه، وفي نعله، وفي بدنه[١٠٩]. ولكن كما قال ﷺ: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدّقوا في غير إسْراف ولا مخيلة». وقال ابن عباس: «كُلْ ما شئت والْبَسْ ما شئت، ما أخطأت اثنان: سرفٌ أوْ مَخِيلة»[١١٠].

كان يزيد بن المهلّب بن أبي صُفرة جوادًا كريمًا، لكن كان فيه كِبْر، رآه مُطرّف بن الشّخّير (ت٨٦) يسحب حُلّته، فقال له: إن هذه مشيه يبغضها الله، قال: أوَما تعرفني؟ قال: بلى،أوّلكَ نطفة مَذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت بين ذلك تحمل العذِرة.[١١١]! قال ابن عيينة: من كانت معصيته في الشهوة فارج له، ومن كانت معصيته في الكبر فاخش عليه، فإنّ آدمَ عصى مشتهيًا

(١٠٨) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٣٩).

(١٠٩) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٣٩).

(١١٠) أخرجها البخاري تعليقًا كتاب اللباس (١٠/ ٢٥٢ فتح).

(١١١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٥).

فغُفر له، وإبليس عصى متكبّرًا فلُعِن[١١٢].

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم الكِبْر، وأنّه من كبائر الذنوب.

٢- فيه مراجعة التلميذ لشيخه.

٣- أن الله يحبّ التجمّل من غير خيلاء، ولا إسراف.

* * * * *

(١١٢) سير أعلام النبلاء (٨/٤٦١).

الحديث الحادي عشر

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السُّوءِ كحَامِلِ المِسْكِ ونافخِ الكِيرِ، فحَامِلُ المِسْكِ إمّا أنْ يُحذيك، وإمّا أنْ تَبْتَاعَ منه، وإمّا أنْ تجدَ ريحًا طيّبة، ونافخ الكِيرِ إمّا أنْ يُحرق ثيابك، وإمّا أنْ تجدَ مِنْهُ ريحًا خَبيثة» أخرجه البخاري، ومسلم(١١٣).

راوي الحديث:

أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري، أحد فقهاء الصحابة وعلمائهم، أسلمَ في مكّة، واختُلف: هل هاجر إلى الحبشة، أمْ رجع إلى بلده اليمن؟ ثمّ قدم المدينة، وصادفتْ سفينته سفينة جعفر بن أبي طالب ومَنْ معه في رجوعهم من الحبشة بعد فتح خيبر، ولّاه النبي ﷺ على بعض أجزاء اليمن. ثم ولاه عمر على البصرة. وكتب له رسالته المشهورة في القضاء. اشتهر بحسن الصوت جدًّا، حتى قال له رسول الله ﷺ: «يا أبا موسى لقد أُوتيت مزمارًا من مزامير آل داود»(١١٤).

قال أبو عثمان النّهْدي (من التابعين): ما سمعتُ مزمارًا ولا طنبورًا ولا صنجًا أحسن من صوت أبي موسى الأشعري، إنْ كان ليُصلّي بنا فنَودُّ أنه قرأ البقرة، من حسن صوته(١١٥). دعا له رسول الله ﷺ بقوله: «اللهمّ اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مُدخلًا كريمًا»(١١٦).

توفي رضي الله عنه سنة ٤٤، وقيل ٤٢. وقد جاوز عمره الستين.

---

(١١٣) في كتاب البيوع برقم (٢١٠١) وكتاب الذبائح والصيد برقم (٥٥٣٤) ومسلم كتاب البرّ والصلة برقم (٢٦٢٨).

(١١٤) أخرجه البخاري (٥٠٤٨) ومسلم (٧٩٣).

(١١٥) سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٢).

(١١٦) أخرجه البخاري (٤٣٢٣) ومسلم (٢٤٩٨).

معاني الكلمات:

المسك: من أنواع الطيب. الكير: منفاخ الحدّاد. يُحذيك: يعطيك.

الشرح:

يضرب الرسول ﷺ الأمثال لأصحابه رضي الله عنهم. ولمن بعدهم. ليكون ذلك أبلغ في إيضاح المعنى، واستقراره في الذهن. والإنسان لابد له من جليس، فإن كان فطنًا حذرًا اتخذ جليسًا صالحًا، يُعينه إذا ذكر، ويذكّره إذا نسي، ويتفقّده إذا غاب، ويُحبّ له ما يُحبّ لنفسه.

وإن كان المرء غير فطن ولا كيّس اتخذ جليسًا يزيّن له طريق الغواية، ويبعده عن سبيل الهداية، فيندم يوم القيامة على صحبته، ولا ينفع حينها الندم. [s t u v w x Z] [الفرقان:٢٨]، هذه الصحبة السيئة التي كانت في الدنيا تنقلب إلى عداوة يوم الحشر.

[l m n o p q r Z] [الزخرف:٦٧]، «لقد كانوا في الحياة الدنيا يجتمعون على الشر، ويملي بعضهم لبعض في الضلال، فاليوم يتلاومون. واليوم يلقي بعضهم على بعض تبعة الضلال وعاقبة الشر، واليوم ينقلبون إلى خصوم يتلاحون، من حيث كانوا أخلاء يتناجون! «إلا المتقين» فهؤلاء مودتهم باقية، فقد كان اجتماعهم على الهدى، وتناصحهم على الخير، وعاقبتهم إلى النجاة[١١٧]».

---

(١١٧) في ظلال القرآن (٥/ ٣٢٠١).

وقد عُني السلف رحمهم الله بتوجيه أبنائهم إلى اختيار الجليس الصالح، والتحذير من جليس السوء . قال طاووس بن كَيْسَان لابنه: «صاحبْ العقلاء تُنسب إليهم وإن لم تكن منهم، ولا تصاحب الجهال فتُنسب إليهم وإن لم تكن منهم[١١٨] .

قال رجل للحسن البصري: كيف نصنع بمجالسة أقوام يحدّثوننا حتى تكاد قلوبنا أن تطير؟ قال: «إنك والله لأن تصحب أقوامًا يخوفونك حتى تدرك أمنًا ، خير لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف»[١١٩] .

قال بعض السلف: لا تصادقنّ فاسقًا ولا تثق إليه، فإن من خان أول مُنْعِمٍ عليه، لا يفي لك[١٢٠]. ومن العجب أن تجد الكثير من الشباب لديه عناية كبيرة، وذوق رفيع في اختيار حاجاته الشخصية، لكنه لا يولي جانب اختيار الصديق العناية المطلوبة، فربما راعى بعض الجوانب في هذا الصديق، ويغفل أهم جانب ألا وهو صلاحه من عدمه. ومعظم الذين وقعوا في فتن الشبهات، كالأفكار المنحرفة، وفتن الشهوات كالتدخين والمخدرات والسرقة وغيرها من الفواحش كان جليس السوء هو السبب الأول في وقوعهم فيها .

وتأمل خاتمة أبي طالب وأثر جليس السوء فيها ، «لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول

---

(١١٨) البداية والنهاية (٩/ ٢٣٦).

(١١٩) الزهد لابن المبارك ص(١٠٢).

(١٢٠) بدائع الفوائد (٣/ ٢٣٥).

الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن أبي أميه بن المغيرة، فقال: «أي عمّ، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أميه: أترغبُ عن ملّة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلّمهم: على ملّة عبد المطلب، وأبى أن يقول: «لا إله إلا الله»[١٢١].

ما يستفاد من الحديث:

١- حرصه ﷺ على توجيه أمّته للخير، وضربِ الأمثال لهم.

٢- أهميّة الجليس الصالح، والحثّ على مصاحبته.

٣- الحذر من جليس السوء، والتحذير من مقاربته.

* * * * *

(١٢١) أخرجه البخاري (٤٧٧٢) ومسلم (٢٤).

الحديث الثاني عشر

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِما كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ والفَرَاغُ» أخرجه البخاري(١٢٢).

راوي الحديث:

عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي. أبو العباس ابن عمّ رسول الله ﷺ، وُلد قبل الهجرة بثلاث سنوات. ومات رسول الله ﷺ وابن عباس قد قارب الاحتلام. وهو أحد السبعة المكثرين من الحديث. (مَنْ هم؟).

ومن كبار علماء الصحابة وفقهائهم. دعا له رسول الله ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين»(١٢٣) «اللهم علمه الحكمة» «الكتاب»(١٢٤).

وكان ذا همة عالية في طلب العلم، فرزق منه الكثير. مجلًا لمن سبقه في العلم: «ركب زيد بن ثابت فأخذ ابن عباس بركابه، فقال: لا تفعل يا ابن عمّ رسول الله، فقال: هكذا أُمرنا أن نفعل بعلمائنا، فقبّل زيد بن ثابت يده وقال: «هكذا أُمرنا أن نفعل بأهل بيت نبيّنا»(١٢٥).

أثنى عليه كبار الصحابة، قال ابن مسعود: «لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منّا

---

(١٢٢) برقم (٦٤١٢) كتاب الرقاق وهو أول حديث فيه.

(١٢٣) أخرجه البخاري (١٤٢) ومسلم (٢٤٧٧).

(١٢٤) أخرجه البخاري (٧٥) و(٣٧٥٦) ولفظة: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل» قال ابن حجر: «اشتهرت على الألسنة حتى نسبها بعضهم للصحيحين ولم يُصب والحديث عند أحمد بهذا اللفظ» (الفتح ١٠٠/٧).

(١٢٥) الإصابة (٣٢٤/٢) وصححها في (٥٤٣/١).

رَجل»[١٢٦]، وقال: «نِعْم ترجمان القرآن ابن عباس»[١٢٧].

وقال ابن عمر: «هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد»[١٢٨]. بل أثنى عليه أعلم الصحابة - بعد الصّديق - عمر الفاروق فقال: «لقد علم علمًا ما علمناه»[١٢٩]. وكان يُدخله مع كبار الصحابة ويُدنيه منه. وقد تفرّس الصحابة فيه النبوغ، فأخرج ابن سعد بسند صحيح[١٣٠]: «لما مات زيد بن ثابت قال أبو هريرة: مات اليوم حَبْرُ هذه الأمة، ولعل الله أن يجعل في ابن عباس خلفًا». وأثنى على علمه كبار التابعين ممّن اخذوا عنه، قال أبو وائل شقيق بن سلمة: «قرأ ابن عباس سورة النور ثم جعل يفسّرها، فقال رجل: لو سمعتْ هذا الدّيلم لأسلمتْ»[١٣١]. توفي سنة ٦٨ بالطائف.

معاني الكلمات:

مغبون: مغلوب.

الشرح:

نِعَمُ الله على العبد كثيرة متعددة، وذكر منها رسول الله ﷺ في هذا الحديث نعمتان: الصحة، والفراغ، وأخبر أن كثيرًا من الناس مغبون فيهما، أي: مغلوب خاسر، ومفهوم ذلك أن

---

(١٢٦) صححه الحافظ في الفتح والإصابة، وعزاه إلى يعقوب بن سفيان في تاريخه. ومعنى: عاشره: أي ما جاء أحد عُشر ° ة. قال ابن كثير ـ لما ذكرها في تاريخه ـ: وقد تأخرت وفاة ابن عباس عن ابن مسعود بضعًا وثلاثين سنة فما ظنك بما حصّله في هذه المدة؟» (٦/ ١٥٦).

(١٢٧) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٦٦) وصححه ابن تيمية الفتاوى (١٣/ ٣٦٥) وحسّنه ابن حجر الإصابة (٢/ ٣٢٤).

(١٢٨) حسّنه الحافظ في الفتح (٧/ ١٠٠).

(١٢٩) وصححها الذهبي في تاريخ الإسلام (٦١/ ١٥٥).

(١٣٠) قاله الحافظ في الإصابة (٢/ ٣٢٤) وفي التهذيب (٥/ ٢٧٨).

(١٣١) صحّحها ابن حجر في الفتح (٧/ ١٠٠).

القليل من الناس من يكون رابحًا فيها:] وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ Z [سبأ:١٣].

«قال ابن بطّال: معنى الحديث أن المرء لا يكون فارغًا حتى يكون مكفيًّا صحيح البدن، فمن حصل له ذلك فليحرص على أن لا يُغبن بأن يترك شكر الله على ما أنعم به عليه، ومن شُكره امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمن فرّط في ذلك فهو المغبون.

وقال ابن الجوزي: قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون متفرغًا؛ لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم..»[١٣٢].

وقد أقسم الله جلّ وعلا بالفجر، والضحى، والعصر، والليل، وجعل وقتًا محددًا لعبادات معينة، لا تُقبل قبله، ولا بعده. وبيّن رسول الله ﷺ أهمية الوقت في عدة أحاديث، منها: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»[١٣٣]، وقال: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»[١٣٤].

وقد أدرك السلف الصالح أهمية الوقت في حياتهم فعمروه بما يرضي الله فكانوا مغبوطين، لا مغبونين. ولهم في ذلك أقوال، وحكايات تطول، نسوق شيئًا يسيرًا منها: قال الحسن البصري:

---

(١٣٢) أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، وقال حسن صحيح، وحسّنه الألباني (الصحيحة ٩٤٦).

(١٣٣) أخرجه الحاكم (٧٨٤٦)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسّنه العراقي (تخريج الإحياء ٦/ ٢٤٨٨)، وصححه الألباني (تخريج اقتضاء العلم العمل، رقم: ١٧٠).

(١٣٤) فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).

«ابن آدم إنما أنت أيام كلما ذهب يوم ذهب بعضك»[١٣٥].

اشترى أصحاب الشافعي له جاريه فأقبل على درسه وكتبه ولم يلتفت إليها، فلما أصبحت خرجتْ إلى النّخاس (بائع الجواري) فقالت: حبسوني مع مجنون، فبلغ الشافعي قولها فقال: المجنون من عرف قدر العلم ثم ضيّعه، أو توانى فيه حتى فاته(!)[١٣٦]. ومكث أبو عُبيد بن حربويه (ت٣١٩)قاضيًا في مصر ثماني عشرة سنة، فقيل له: رأى القاضي النِيل؟ فقال: سمعتُ خرير الماء(!) قال السبكي. لما ذكرها. فللّه درُّ قاضٍ أقام بمصر ثماني عشرة لم يُبصر النيل[١٣٧]!

وقرأ الحافظ ابن حجر معجم الطبراني الصغير في مجلس واحد بين صلاتي الظهر والعصر، ويشمل هذا المعجم على ألف وخمسمئة حديث بأسانيدها![١٣٨].

وشتّان بين من أنفق وقته في تحصيل طعامه وشرابه، ويستغرق جميع أوقاته، وبين من يستغرق أوقاته في طلب ما جاء عن الله ورسوله ﷺ، فأحدهما التحقَ بالدوابّ، والآخر بالملائكة[١٣٩].

«والغريب أن أغلى شيء عند الإنسان هو الوقت وهو أرخص شيء، قال الله:] x y z { | } ~ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ Z [المؤمنون:٩٩-١٠٠]... ما يقول: لعلي أتمتع في المال أو أتمتع بالزوجة.. بل يقول: لعلي أعمل صالحًا. مضى عليّ الوقت وما استفدت منه، هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا، الآن نمضي أوقاتًا كثيرة

(١٣٥) سير النبلاء (٤/ ٥٨٥).

(١٣٦) الحث على طلب العلم لأبي هلال العسكري ص(٧٨) واحذر أخي القارئ أن تكون ممن عرف قدْر العلم ثم ضيّعه.

(١٣٧) طبقات الشافعية (٣/ ٤٥٠).

(١٣٨) دُرر العقود الفريدة للمقريزي (١/ ٢٤٢).

(١٣٩) أدب الطلب للشوكاني ص(١١٨) بتصرّف.

بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضرّ، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين اليوم مع الأسف الشديد أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادّين في أمور دينهم. .»[١٤٠].

ولله درُّ الوزير الصالح يحيى بن هبيرة رحمه الله (ت ٥٦٠) القائل:

والوقتُ أنفسُ ما عُنيتَ بحفظه ... وأراه أسهل ما عليك يضيع[١٤١]

ما يستفاد من الحديث:

١- إرشاده ﷺ أمته لما ينفعهم.

٢- تشبيه الصحة والفراغ برأس المال.

٣- أن كثيرا من الناس لا يحسنون الاستفادة من صحتهم وفراغهم.

٤- الحثّ على أن يكون الإنسان من المغبوطين في صحتهم وفراغهم، لا من المغبونين.

* * * * *

(١٤٠) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٢/ ٣١٥-٣١٦).

(١٤١) المنهج الأحمد للعليمي (٢/ ٣٥٥).

الحديث الثالث عشر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: لَمْ يَكُنْ النّبيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحّشًا. وكَانَ يَقُولُ: «إنَّ مِنْ خِيَارِكُم أَحْسَنِكُم أَخْلَاقًا» متفقٌ عليه(١٤٢).

راوي الحديث:

عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي. أسلمَ في السنة السابعة قبل أبيه. قيل: لم يكن بينه وبين أبيه إلا إحدى عشرة سنة. وهو من المكثرين من رواية الحديث، شهد له أبو هريرة رضي الله عنه بذلك فقال: ما مِنْ أصحاب النبي ﷺ أحدٌ أكثر حديثًا عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب ولا أكتب(١٤٣)، وشهدت له عائشة رضي الله عنها بكثرة علمه، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عروة بن الزبير قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مارٌّ بنا إلى الحجّ، فالقه فسائله فإنه قد حمل عن النبي ﷺ علمًا كثيرًا»(١٤٤).

اشتهر رضي الله عنه بالاجتهاد في العبادة جدًا، فكان يصوم النهار، ويقوم الليل، فأرشده الرسول ﷺ بقوله: «فصمْ وأفطر، وقُمْ ونَمْ، فإن لعينيك عليك حظًا، وإنّ لنفسك وأهلك عليك حظًا»(١٤٥) توفي رضي الله عنه سنة (٦٥) وعمره اثنان وسبعون عامًا.

معاني الكلمات:

فاحشًا: الفحش كل ما خرج عن مقداره، ويكون في القول والفعل والصفة.

---

(١٤٢) أخرجه البخاري في مواضع (٣٥٥٩) (٣٧٥٩) (٦٠٢٩) (٦٠٣٥) ومسلم (٢٣٢١).

(١٤٣) أخرجه البخاري (١١٣).

(١٤٤) رقم (٢٦٧٣) (١٦/ ٢٢٥ نووي).

(١٤٥) أخرجه البخاري (١٩٧٧) ومسلم (١١٥٩).

متفحشًا: صيغة مبالغة، وهو الذي يتعمد ذلك ويكثر منه.

الشرح:

في هذا الحديث يخبرنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن بعض خُلقه ﷺ: «لم يكن فاحشًا، ولا متفحشًا» فليس الفحش من خُلقه طبعًا ولا كسبًا. وكيف يكون من خُلقه وقد كان خلقه ﷺ القرآن؟[١٤٦] كما وصفه ربه جل وعلا:] Z n m l k [[القلم:٤]، بل أخبر خادم رسول الله ﷺ أنسُ بن مالك بمدى سموّ هذا الخلق بقوله: «خدمتُ النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي: أُفّ، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟»[١٤٧].

وحثّ ﷺ أمته على التحلّي بحسن الخلق في أحاديث كثيرة وبيّن منزلته يوم القيامة، فمن ذلك: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن، فإن الله تعالى يبغض الفاحش البذيء»[١٤٨]، وقال: «إن من أحبكم إليّ أحسنكم أخلاقًا»[١٤٩]، فمن أراد أن يكون محبوبًا إلى رسول الله ﷺ فليكن حسن الخُلق. «وحسن الخلق: اختيار الفضائل، وترك الرذائل»[١٥٠]، ومفهوم الحديث أن من ساء خُلقه فهو ليس من خيار المسلمين.

قال ابن عمر رضي الله عنهما: حُسْنُ الخُلُق شيء هيّن، وجْهٌ طليق، وكلام ليّن. ولذا عُني السلف رحمهم الله بهذا الجانب، قال الحسن البصري: «إنْ كان الرجل ليخرج في أدب نفسه السنتين ثم

---

(١٤٦) أخرجه مسلم عن عائشة (٧٤٦).

(١٤٧) أخرجه البخاري (٦٠٣٨) ومسلم (٢٣٠٩).

(١٤٨) أخرجه الترمذي واللفظ له وقال: حسن صحيح (٢٠٠٢) وأبو داود (٤٧٩٩) وصححه ابن حجر (الفتح ١٠/ ٤٥٨).

(١٤٩) أخرجه البخاري (٣٧٥٩).

(١٥٠) فتح الباري (٦/ ٥٧٥).

السنتين»[١٥١]، وقال مخلد بن الحسين: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منّا إلى كثير من الحديث»[١٥٢].

وقال ابن المبارك: «كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين»[١٥٣].

لكن حسن الخُلق لا يغني عن القيام بالواجبات وترك المنهيات، بل مكمل لها ومزّين لصاحبها.

ما يستفاد من الحديث:

١- كمال خُلقه ﷺ.

٢- الحثّ على التأسي برسول الله ﷺ:] لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ Z [الأحزاب:٢١].

٣- حرص الإسلام على أنْ يتحلى أتباعه بالخُلق الحسن.

٤- أنّ خير المسلمين أحسنهم خلقاً.

٥- أنّ من كان سيء الخُلق لم يكن من خيار المسلمين.

* * * * *

(١٥١) تذكرة السامع ص(٢, ٣).

(١٥٢) السابق.

(١٥٣) صفة الصفوة (٤/ ١٢٨).

الحديث الرابع عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهم الله في ظلّه يَوْمَ لا ظلّ إلّا ظلّه: إمَامٌ عَادِلٌ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادةِ الله، ورجُل قلْبُه مُعلّقٌ في المسَاجدِ، ورَجُلان تحَابَّا في الله، اجْتمعَا عليه وتفرّقَا عَلَيْه، ورجل دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذاتُ مَنْصِب وجمَال فقَال: إنّي أخافُ الله، ورجل تَصدّقَ بصَدَقَةٍ فأَخْفَاهَا حَتّى لا تَعْلمَ شِماله ما تُنْفِقُ يَمِينُه، ورَجل ذَكَرَ الله خَالِيًا ففَاضتْ عَيْنَاه»، أخرجه البخاري ومسلم(١٥٤).

راوي الحديث:

حافظُ الأمّة عبد الرحمن بن صخر الدوسي. يكنى بأبي هريرة لأنه قبل قدومه المدينة كانت له هرّة صغيرة، فكنّوه بأبي هريرة(١٥٥)، وهو أكثر الصحابة رواية للحديث على الإطلاق، قدم المدينة مسْلمًا عام خيبر سنة ٧ للهجرة، ولازم رسول الله ﷺ ملازمة تامة، قال رسول الله ﷺ: «من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه فلن ينسى شيئًا سمعه مني» فبسطتُ بُرْدَةً كانت عليَّ، فو الذي بعثه بالحقّ ما نسيتُ شيئًا سمعته منه. متفقٌ عليه.

وجاء رجل إلى زيد بن ثابت يسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة، فإني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره إذ خرج علينا رسول الله ﷺ حتى جلس إلينا فقال: «عودوا للذي كنتم فيه» قال زيد: فدعوتُ أنا وصاحبي فجعل رسول الله ﷺ يؤمّن على دعائنا، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك ما سألك صاحباي، وأسألك علمًا لا ينسى، فقال رسول الله ﷺ: «آمين» فقلنا: يا رسول الله ونحن نسألك علمًا لا ينسى، فقال: «سبقكم بها

---

(١٥٤) أخرجه البخاري (١٤٢٣) ومسلم (١٠٣١) وعنده: «حتى لا تعلم يمينه ما تنفق شماله» والصواب: حتى لا تعلم شماله..

(١٥٥) أخرجه الترمذي رقم(٣٨٤٠) وحسّنه ابن حجر في الإصابة (٤/ ٢٠١).

الغلام الدوسي»[١٥٦].

وشهد له الرسول ﷺ بالحرص على طلب العلم: «يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيتُ من حرصك على الحديث» أخرجه البخاري. توفي رضي الله عنه سنة ٥٧.

معاني الكلمات:

سبعة: أي سبعة أصناف.

ظله: قيل: ظلّ عرشه، كما في بعض روايات الحديث، وقيل: غير ذلك.

إمام: صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئًا من أمور المسلمين فعدل فيه.

معلق في المساجد: محب للصلاة، منتظر لها. فاضت عيناه: بكى.

الشرح:

يُخبر ﷺ في هذا الحديث عن سبعة أصناف من الناس لهم مكانة ومنزلة يوم القيامة مرتفعة، وذلك حين: «تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق، حتى تكون منهم كمقدار ميل.. فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حَقْويه، ومنهم من يُلجمه العرق إلجامًا» وأشار رسول ﷺ بيده إلى فيه[١٥٧]. «فيظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، جعلنا الله منهم، فأولهم: «إمام عادل» وبدأ به لأن نفعه يتعدّى للآخرين. «وأهم عدل في الإمام أن يحكم بين الناس بشريعة الله.. وأما من حكم بالقوانين الوضعية.. فهو من أشد الولاة جورًا.. وأبعد الناس من أن يظله الله في ظله..»[١٥٨].

---

(١٥٦) قال ابن حجر: أخرجه النسائي بسند جيد (الإصابة ٤/٢٠٥).

(١٥٧) أخرجه مسلم (٢٨٦٤).

(١٥٨) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/٣٦٧).

«وشابّ نشأ في طاعة الله» أي: واستمر على ذلك خصّ الشاب لأنه مظنة غلبة الشهوة، وما أحسن حال هذا الشاب في الدنيا والآخرة، وخاصة مع تكاثر الشهوات والشبهات، كما في عصرنا هذا.

«ورجلٌ قلبُه..» وهذا صنف ثالث «شبهه بالشيء المعلق في المسجد كالقناديل مثلًا، إشارة إلى طول الملازمة بقلبه، وإن كان جسمه خارجًا عنه..»[١٥٩]. «وهذا يدل على قوة صلته بالله عز وجل، لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، فإذا أحبها الإنسان وألفاها فهذا يدل على أنه يحب الصلة التي بينه وبين الله..»[١٦٠].

وانظر إلى مثال لرجل تعلّق قلبُه بالمساجد. قال عديُّ بن حاتمٍ رضي الله عنه: «ما أقيمت الصّلاة منذ أسلمتُ إلّا وأنا على وضوء»[١٦١] وقال: «ما دخل وقت صلاة قط إلا وأنا أشتاق إليها»[١٦٢].

«ورجلان تحابّا في الله..»: أي: لم يربط بينهما شيء غير التحابّ في الله، كل منهما رأى من صاحبه من الاستقامة ما جعله يحبّه في الله، جمعهما هذا الحبّ المشروع واستمر عليه حتى الموت. و«عُدّتْ هذه الخصلة واحدة مع أن متعاطيها اثنان لأنّ المحبّة لا تتمّ إلّا باثنين..»[١٦٣]، والمحبة في الله فضلها عظيم، وثوابها جزيل، وفي الحديث القدسي: «أين المتحابُّون بجلالي؟ اليوم أُظلّهم في ظلي، يوم لا ظلّ إلا ظلي»[١٦٤]، وهي من الأمور التي يجد المرء بها حلاوة الإيمان: «ثلاث

---

(١٥٩) فتح الباري (٢/ ١٤٥).

(١٦٠) ابن عثيمين (شرح رياض الصالحين ٦/ ٣٦٨).

(١٦١) تاريخ بغداد (١٢/ ٢٨٤) والإصابة (٢/ ٤٦١).

(١٦٢) الإصابة (٢/ ٤٦١).

(١٦٣) فتح الباري (٢/ ١٤٥).

(١٦٤) أخرجه مسلم (٢٥٦٦).

من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان. .وأن يُحبَّ المرء لا يحبه إلا لله. .»[١٦٥].

«ورجل دعته امرأة. .»: أي: إلى الفاحشة، وقد وُصفت هذه المرأة «بأكمل الأوصاف. . . .وهو المنصب الذي يستلزمه الجاه والمال مع الجمال، وقلّ من يجتمع ذلك فيها من النساء»[١٦٦].

وبيّن المانع له من ارتكاب الفاحشة وهو: «إني أخاف الله» فلم يجعل خوفه من شيء آخر، لا من الفضيحة، ولا من إقامة حدّ، ولا إصابة بمرض، ولا ضعف شهوة، ولا غيرها، ولكن خوفه من الله جل وعلا.

«ورجل تصدق. .فأخفاها. .» فمن شدة إخفائه لتصدقه كأن شماله لا تعلم ما تنفق يمينه. «وهذا ما لم يكن إظهار الصدقة فيه مصلحة وخير، فإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة وخير كان إظهارها أولى، لكن إذا لم يكن فيه مصلحة فالإسرار أولى»[١٦٧].

والسابع: «رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» أي بالدموع، وقيّده بقوله: «خاليًا» فلا يطّلع عليه أحد. والخصال الثلاث الأخيرة تشترك في أنها في السرّ، بين العبد وربّه. وهذه الأصناف السبعة ليست على سبيل الحصر، بل هناك غيرهم، فمنهم: «من أنظر معسرًا أو وضع عنه أظله الله في ظله»[١٦٨].

تنبيه:

«ذِكْرُ الرجال في هذا الحديث لا مفهوم له، بل يشترك النساء معهم فيما ذُكر، إلا إذا كان المراد بالإمام العادل الإمامة العظمى، وإلا فيمكن دخول المرأة حيث تكون ذات عيال فتعدل فيهم، وتخرج خصلة ملازمة المسجد لأن صلاة المرأة في بيتها أفضل. .وما عدا ذلك

---

(١٦٥) أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣).

(١٦٦) فتح الباري (٢/ ١٤٥).

(١٦٧) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/ ٣٦٩).

(١٦٨) أخرجه مسلم (٣٠٠٦) وانظر: فتح الباري (٢/ ١٤٤) لمعرفة خصال أخرى.

فالمشاركة حاصلةٌ لهنّ، حتى الرجل الذي دعته المرأة فإنه يُتصوَّر في امرأة دعاها ملك جميل مثلًا فامتنعت خوفًا من الله تعالى مع حاجتها . .»[١٦٩] .

ما يستفاد من الحديث:

١- الحثّ على العدل، وفضيلة الإمام العادل.

٢- فضل الشابّ. أو الفتاة. الذي ينشأ في طاعة الله.

٣- فضل من أحبّ المساجد للعبادة، ولازم الجماعة.

٤- فضل التحابّ في الله.

٥- فضل العِفّة، واجتناب الفاحشة خوفًا من الله.

٦- فضل صدقة السرّ، والمبالغة في إخفائها .

٧- فضل البكاء عند ذكر الله خاليًا . ويشمل أيضًا الصلاة، وقراءة القرآن ونحوهما .

---

(١٦٩) فتح الباري (٢/١٤٧).

الحديث الخامس عشر

عن أبي ذرّ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بالفُسُوقِ، ولَا يَرْمِيهِ بالكُفْرِ إلّا ارْتَدَّتْ عَلَيْه إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُه كَذلِك» أخرجه البخاري[١٧٠].

راوي الحديث:

جُندب بن جُنادة الغفاري اشتهر بكنيته. من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقصة إسلامه أخرجها البخاري ومسلم[١٧١]، ثم رجع إلى بلاد قومه فأقام بها بأمر النبي ﷺ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة لحق به، وقد مضت بدر وأُحد. كان من علماء الصحابة.

أثنى عليه علي رضي الله عنه بقوله: «أبو ذر وعاء مُلئ علمًا ثم أُوكي عليه»[١٧٢]، اشتهر بالزهد، والصدع بما يراه الحق، وله قصص في ذلك. خرج في آخر حياته إلى الرَّبذة فأقام بها حتى مات عام ٣٢ رضي الله عنه.

معاني الكلمات:

لا يرمي: لا يتّهم، لا يصف.

ارتدّت: رجعت.

الشرح:

---

(١٧٠) أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم(٦٠٤٥).

(١٧١) البخاري برقم (٣٥٢٢) ومسلم برقم(٢٤٧٣) وهي عنده أطول وفيها أنه مكث ثلاثين بين ليلة ويوم ليس له طعام إلا ماء زمزم حتى تكسرت عكن بطنه وما يشعر بالجوع وأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: «إنها مباركة إنها طعام طعم».

(١٧٢) قال ابن حجر: أخرجه أبو داود بسند جيد (الإصابة ٤/ ٦٥).

في هذا الحديث تحذير شديد، ووعيد لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، من رمى الآخرين بالفسق، وأعظم منه الكفر، لأن الموصوف بذلك إن لم يكن محقًا لهذه التهمة فإنها ترجع على قائلها. ومثله اتهامهم بالعلمنة، والفجور، والانحلال من الدين، أو البدعة، وغيرها من الأوصاف، دون إقامة حجة بيّنة، أو دليل واضح، بل لمجرد اختلاف في الرأي،أو كلام نُسب إليه،لا يُعلم صحته عنه، ولا مراده منه. وأعظم ذلك وأخطره، وأشدّه جُرمًا: رمي العلماء والدعاة بالتبديع والمداهنة، بل والتكفير أخيرًا.

وإذا كان هذا الوعيد فيمن رمى رجلًا واحدًا بذلك فكيف بمن رمى اثنين؟ فكيف بمن رمى ثلاثة؟ فكيف بمن رمى جماعات كثيرة بذلك؟ نسأل الله السلامة.

وينبغي أن يُعلم أن الإنسان أن يخطئ في العفو خير من أن يُخطئ في العقوبة، فإخراجُ رجلٍ مسلم من الإسلام بغير بيّنة قاطعة أعظم جرمًا من إدخال كافر في دائرة الإسلام.

لكن ذلك لا يعني عدم تكفير من استحق هذا الوصف إذا تحققت فيه أسباب الكفر بثبوت الشروط وانتفاء الموانع. كما أنه لا يعني التوقف في تكفير اليهود والنصارى وسائر المشركين؛ لأنّ الله جل وعلا قد حكم فيهم:] ? @ A B C D E F [Z K J I H G [آل عمران:٨٥]. وبيّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار» أخرجه مسلم.

وإنك لتعجب من بعض من انشغل بتصنيف الناس، وترك طلب العلم النافع. وربما اغترّ به بعض الناشئة، فرأوا في إسراعه إلى التكفير والتفسيق والتبديع علمًا وصدعًا بالحق!! فالحذر الحذر من مثل هذا الصنف.

وأسوق هنا جُملًا للإمام ابن تيمية تتعلق بهذا الموضوع المهمّ:

١- «التكفير يختلف بحسب اختلاف حال الشخص، فليس كل مخطئ ولا مبتدع ولا

جاهل ولا ضالّ يكون كافرًا، بل ولا فاسقًا، بل ولا عاصيًا» . [الفتاوى١٢/١٨٠] .

٢- «ليس لأحد أن يكفِّر أحدًا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل عنه بالشك، بل ولا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة» . (١٢/٤٦٦) .

٣- «بعض السلف أخطأ في بعض المسائل ولم يُكفَّر» . (١٢/٤٩٢) .

٤- «القول قد يكون كُفرًا . . لكن الشخص المعيّن الذي قاله لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة . .» (٢٣/٣٤٥) .

٥- «[الإمام أحمد] كان يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله وصفاته . . وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة . لكن ما كان يكفّر أعيانهم . . . ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية . . ويَدْعون الناس إلى ذلك، ويمتحنونهم ويعاقبونهم إذا لم يجيبوهم، ويكفّرون من لم يُجبهم . . ومع هذا فالإمام أحمد رحمه الله تعالى ترحّم عليهم، واستغفر لهم، لعلمه بأنهم لم يبين لهم أنهم مكذّبون للرسول، ولا جاحدون لما جاء به، لكن تأولوا فأخطأوا، وقلّدوا من قال لهم ذلك» (٢٣/٣٤٨ – ٣٤٩) .

٦- « . . فقد يُقتل [الداعية إلى البدع] لكفّ ضرره عن الناس، كما يُقتل المحارب، وإن لم يكن في نفس الأمر كافرًا، فليس كل من أُمر بقتله يكون قتله لردّته» (٢٣/٣٤٩ – ٣٥٠) .

٧- «قد يكفِّر الرجل أخاه بالتأويل، ولا يكون واحد منهما كافرًا» (منهاج السنة، ٤/٣٣٣) .

ما يستفاد من الحديث:

١- التحذير من رمي الآخرين بالفسق أو الكفر، ما لم يكونوا مستحقين لذلك .

٢- أن من رمى غيره بالفسق أو الكفر أو غيرهما فهي مردودة عليه، ما لم يكن صاحبه كذلك .

٣- يفهم منه أن من ثبت كفره أو فسقه جاز وصفه بذلك، لكن لا يملك إطلاق الوصف إلا أهل العلم.

٤- كما حرّم الإسلام الاقتتال بين المسلمين، فكذا حرّم ترامیهم بالتهم والأوصاف بغير بيّنة.

* * * * *

الحديث السادس عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَوْ يَعْلَمُ النّاسُ مَا فِي النّدَاءِ والصّفّ الأوّل ثُمّ لَمْ يَجِدُوا إلا أنْ يَسْتَهِمُوا عَليه لاسْتَهَمُوا، ولوْ يعْلمونَ ما في التّهْجِيرِ لاسْتَبقُوا إليه، ولوْ يَعْلَمُونَ ما في العَتَمَةِ والصُّبْحِ لأَتَوْهُما ولوْ حَبْوًا» أخرجه البخاري ومسلم(١٧٣).

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمته في الحديث الرابع عشر، ويضاف إليها: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه: «كنتُ أدعو أُمّي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يومًا فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيتُ رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أُمّ أبي هريرة.

فقال رسول الله عليه وسلم: «اللهم أهدِ أُمّ أبي هريرة» فخرجتُ مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعتْ أمّي خشف قدميّ، فقالت: مكانك يا أبا هريرة، وسمعتُ خضخضة الماء، قال: فاغتسلتْ ولبستْ درعها، وعجلتْ عن خمارها، ففتحتِ الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أمّ أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا. قال: قلت: يا رسول الله ادعُ الله أن يُحبّبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ويُحبّبهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حبّبْ عُبَيْدك هذا - يعني: أبا هريرة - وأُمّه إلى عبادك المؤمنين، وحبّب إليهم

---

(١٧٣) أخرجه البخاري رقم(٦١٥) و(٢٦٨٩) ومسلم رقم(٤٣٧).

المؤمنين» فما خُلق مؤمن يسمع بي ولا يراني، إلا أحبّني»[١٧٤].

معاني الكلمات:

النداء: الأذان. يستهموا: يقترعوا. التهجير: التبكير.

العتمة: صلاة العشاء. حبوًا: مشيًا على اليدين والركبتين. أو زحفًا..

الشرح:

يبين الرسول ﷺ في هذا الحديث بعض الفضائل المتعلقة بالأذان والصلاة، «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول» أي لو يعلمون ما في الأذان، والصف الأول من الأجر العظيم: «ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا..» ثم لم يجدوا حلًا مرضيًا لهم إلا القرعة لفعلوا ذلك.

«ولو يعلمون ما في التهجير..»، وأيضًا لو علموا ما في التبكير إلى الصلاة من الفضل العظيم لاستبقوا إليه، وأيضًا «لو يعلمون ما في العتمة..» أي: صلاة العشاء «والصبح» لأتى إليها الناس ولو زحفًا لعظم ما فيهما من الأجر.

وهما أثقل الصلاة على المنافقين «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا، ولقد هممت أن آمر المؤذن فيقيم، ثم آمر رجلًا يؤمّ الناس، ثم آخذ شعلًا من نار فأحرّق على من لا يخرج إلى الصلاة بعد»[١٧٥].

---

(١٧٤) أخرجه مسلم رقم(٢٤٩١).

(١٧٥) أخرجه البخاري (٦٥٧).

وقد ورد في فضل المذكورات في الحديث أحاديث كثيرة منها: ففي الأذان: قوله ﷺ: «المؤذنون أطول الناس أعناقًا يوم القيامة»(١٧٦).

قال العلماء: والحكمة في طول أعناقهم. والله أعلم. حتى لا يلجمهم العرق. ومنها: «لا يسمع مدى صوت المؤذّن جنّ ولا إنس ولا شيء إلا شهدَ له يوم القيامة»(١٧٧)، ولذا قال عمر رضي الله عنه: «لو كنت أطيق الأذان مع الخليفا (الخلافة) لأذّنت»(١٧٨). وقال لرجل: من مؤذنكم اليوم؟ قال: موالينا وعبيدنا. فقال: إن ذلك بكم لنقص كبير(١٧٩).

وذكر البخاري في صحيحه تعليقًا: «أن أقوامًا اختلفوا في الأذان فأقرعَ بينهم سعد»(١٨٠). يعني ابن أبي وقاص وذلك يوم القادسية. «والصف الأول» وقد أخبر ﷺ بأن «خير صفوف الرجال أولها»(١٨١).

قال العلماء: في الحضّ على الصف الأول المسارعة إلى خلاص الذمة، والسبق لدخول المسجد، والقرب من الإمام، واستماع قراءته، والتعلم منه، والفتح عليه، والتبليغ عنه،

---

(١٧٦) أخرجه مسلم (٣٨٧).

(١٧٧) أخرجه البخاري (٦٠٩).

(١٧٨) أخرجه البيهقي (١/ ٤٣٣).

(١٧٩) التمهيد (١٩/ ٢٥٥).

(١٨٠) باب الاستهام في الأذان (٢/ ٩٦ فتح).

(١٨١) أخرجه مسلم (٤٤٠).

والسلامة من اختراق المارة بين يديه، وسلامة البال من رؤية من يكون قدامه، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين»[١٨٢].

وسبق في شرح الحديث الخامس ذكر بعض القصص عن السلف في حرصهم على المبادرة إلى الصف الأول.

«لاستهموا»، أي: اقترعوا، وفي رواية عند مسلم: «لكانت قرعة».

«ولو يعلمون ما في التهجير»: قيل: المراد الإتيان إلى صلاة الظهر أول وقتها، لأنه مشتق من الهاجرة وهي شدة الحرّ. وقيل: المراد التبكير إلى الصلاة مطلقاً.

«لاستبقوا إليه» ولم يقل: لاستهموا؛ لأن الاقتراع يكون حيث الاختيار، أما والأمر ميسر للجميع فهنا المبادرة «فاستبقوا الخيرات».

«ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا» أي كما يحبوا الصغير، ولكن غُيّبَ الأجر في هذه الأعمال ليشتدّ الحرص عليها.

ومن العجب أن تجد من حرص الكثير من الناس على أمور الدنيا والسعي لها ما لا تجده منهم عند طلب أمور الآخرة، فالمنبّه يُضبط على وقت الدوام، أمّا صلاة الفجر فعند الاستيقاظ، والله غفور رحيم. وهو جل وعلا كذلك، وأيضاً: شديد العقاب. قال أبو حازم

---

(١٨٢) فتح الباري (٢/٢٠٨).

سلمة بن دينار رحمه الله: «عجبًا لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة ويدعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كل يوم مرحلة»(١٨٣).

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل الأذان، وعِظَمُ أجر المؤذّن.

٢- فضل الصف الأول، والترغيب فيه.

٣- الحثّ على التبكير إلى الصلاة.

٤- فضل صلاة العشاء، وصلاة الفجر.

٥- مشروعية القرعة.

٦- تغييب الأجر على بعض الأعمال دليل على عظيم أجرها، وترغيبًا للمبادرة إليها.

* * * * *

(١٨٣) صفة الصفوة (٢/١١٢).

الحديث السابع عشر

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلى مَا مَاتَ عَلَيْه». أخرجه مسلم[١٨٤].

راوي الحديث:

جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري، أحد السبعة المكثرين من الحديث عن رسول الله ﷺ. شهد وأبوه بيعة العقبة الثانية. وتغيّب عن غزوة أُحد طاعةً لأبيه؛ لأجل أخواته. زاره رسول الله ﷺ في بيته فلمّا أراد الانصراف نادته زوج جابر: يا رسول الله صلّ عليّ وعلى زوجي، فقال: «صلى الله عليك وعلى زوجك»[١٨٥]، وأضافَ رسول الله ﷺ والمسلمين يوم الخندق وهم ألف.

أصبح مفتي المدينة في زمانه بعد وفاة ابن عمر. رحل من المدينة إلى الشام مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنيس ليسأله عن حديث واحد![١٨٦]. مات في المدينة سنة ٧٨، وهو ابن أربع وتسعين سنة رضي الله عنه.

معاني الكلمات:

كلّ عبد: كل مكلَّف، حرًا كان أو عبدًا، رجلًا أو امرأة.

على ما مات عليه: أي على الحالة التي مات عليها.

الشرح:

يبيّن ﷺ في الحديث أن كل إنسان يُبعث يوم القيامة على الحالة التي مات عليها، كما في قصة

---

(١٨٤) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى رقم(٢٨٧٨).

(١٨٥) قال ابن حجر: أخرجه أحمد بإسناد حسن (الفتح ٧/ ٣٩٨).

(١٨٦) أخرجه البخاري تعليقًا كتاب العلم باب الخروج في طلب العلم (١/ ١٧٣ فتح).

الرجل الذي سقط من ناقته في حجة الوداع فقال ﷺ: «اغسلوه بماء وسدر وكفّنوه في ثوبين، ولا تُمِسوه طيبًا، ولا تخمّروا رأسه، فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا»[١٨٧] الله أكبر! ما أعظم هذه الهيئة في ذلك اليوم العظيم.

وكذا من مات مجاهدًا في سبيل الله «لا يُكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكلم في سبيله، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون دم، والريح ريح مسك»[١٨٨] (يُكلم: يجرح. يثعب: يجري متفجرًا).

ومثله من مات وهو يصلّي، أو يقرأ القرآن، أو غيرهما من العبادات يبعث يوم القيامة على هذه الهيئة الشريفة التي تشرئبُّ لها الأعناق.

وفي المقابل - ولا سواء - من مات وهو متلبّس بمعصية، يُبعث يوم القيامة كحاله يوم مات! وأيّ خزي في ذلك اليوم أعظم من حال من يكون كذلك. نسأل الله حسن الخاتمة.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «الذنوب والمعاصي تخذل صاحبها عند الموت مع خذلان الشيطان له فيجتمع عليه الخذلان مع ضعف الإيمان فيقع في سوء الخاتمة.. وسوء الخاتمة لا يقع فيها من صلح ظاهره وباطنه مع الله»[١٨٩].

والحديث فيه حثّ للمسلم على أن يكون في كل أحواله على هيئة ترضي الله، حتى إذا بغتة الموت بُعث على حال حسنة. قال بعض السلف: «كلّ أمرٍ كرهتَ الموت لأجله فدعه، ثم لا يضرّك متى متّ»[١٩٠].

وأختم بذكر قصتين إحداهما في ذكر خاتمة حسنة، والأخرى بضدّها:

---

(١٨٧) أخرجه البخاري (١٢٦٥) ومسلم (١٢٠٦).

(١٨٨) البخاري (٢٨٠٣) ومسلم (١٨٧٦) واللفظ له.

(١٨٩) البداية والنهاية (٩/ ١٦٣).

(١٩٠) تُنسب لأبي حازم سلمة بن دينار (السير ٦/ ٩٨).

أما الأولى: فقد جاء في ترجمته الإمام الكبير أبي زُرعة الرازي عبيد الله ابن عبد الكريم (ت٢٦٤) . . وكان في السَّوق (الاحتضار) وعنده أبو حاتم ومحمد بن مسلم والمنذر بن شاذان وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين وقوله ﷺ: «لقنوا موتاكم لا إله إلا الله» قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوه أن يلقّنوه، فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال محمد ابن مسلم: حدثنا الضحاك بن مخلد عن عبد المجيد بن جعفر عن صالح، وجعل يقول ولم يجاوز، وقال أبو حاتم: حدثنا بُندار حدثنا أبو عاصم عن عبد المجيد بن جعفر عن صالح، ولم يجاوز، والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة. وهو في السَّوْق.: حدثنا بُندار حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد المجيد بن جعفر عن صالح بن أبي عريب عن كثير بن مرة الحضرمي عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وتوفي رحمه الله[١٩١]!

نسأل الله الكريم من فضله، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها.

أما التي بضدّها: فهي لشخص عشق غلامًا اسمه أسْلَم، وتمكن حُبّه من قلبه، حتى لزم الفراش بسببه، وتمنّع الآخر عليه. . .حتى اشتد الأمر بالعاشق، وقد طمع أن يزوره محبوبه، فلم يَحْدُثْ، حتى ظهرت عليه دلائل الموت فجعل يقول في تلك الحال:

أسلـــمُ يـــا راحـــة العليـــل ... رفقًـــا علـــى الهـــائم النحيـــل

وصْـــلُكَ أشْـــهى إلى فُـــؤادِي ... مِـــنْ رَحْمَـــةِ الخَـــالِقِ الجَليـــل!

فقال له مَنْ عنده: اتق الله ما هذه العظيمة؟

(١٩١) أخرجها الخطيب في تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٣) وابن البنّا في (فضل التهليل وثوابه الجزيل ص(٨٠) والنووي في (الترخيص بالقيام..) ص(٩٠) والذهبي في السير (١٣/ ٨٥).

فقال: قد كان ما كان، فخرج عنه فما توسّط الطريق حتى سمع الصياح عليه[١٩٢].

نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحثّ على حسن العمل.

٢- الابتعاد عن ما نهى الله عنه.

٣- الموت يأتي فجأة، فالعاقل من استعدّ له.

٤- يُبعث العبد على الحال التي مات عليها، إن خيرًا، وإن شرًا.

* * * * *

(١٩٢) معجم الأدباء (١/ ٥٤) نقلاً عن ابن الجوزي في المنتظم وذكرها ابن القيم في الجواب الكافي الداء والدواء ص(٩٩) نقلاً عن الحافظ عبد الحقّ الاشبيلي لعلّ هذا الهالك هو ابن قزمان، انظر: (طوق الحمامة) لابن حزم، ص ١١٦.

الحديث الثامن عشر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « ليسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إنّما الشَّدِيدُ الذّي يَمْلِكُ نفسَهُ عِنْدَ الغضَبِ» متفقٌ عليه(١٩٣) .

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع عشر، وزيادة عليها في الحديث السادس عشر .

معاني الكلمات:

الشديد: القوي. الصُّرَعَة: الذي يصرع الناس كثيرًا .

الشرح:

يبيّن ﷺ في هذا الحديث المفهوم الصحيح للرجل الشديد، أنه الذي يملك نفسه عند الغضب«لأن هذه هي القوة الحقيقية، قوة داخلية معنوية يتغلب بها الإنسان على الشيطان، لأن الشيطان هو الذي يلقي الجمرة في قلبك من أجل أن تغضب(١٩٤)» وقد أثنى الله جل وعلا على من يكظم غيظه:] 3 4 Z [آل عمران:١٣٤]، وقال تعالى:] وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ Z [الشورى:٤٣] . ولما طلب رجل الوصية من رسول الله ﷺ قال له: «لا تغضب» فردد مرارًا قال: «لا تغضب»(١٩٥) . وهذا من جوامع كلامه ﷺ، فالإنسان إذا غضب ربّما اعتدى على غيره، وربما أتلف ماله، وربما طلّق زوجه، بل وربما قتل، أو تلفّظ بالكفر. ولهذا عدّه الإمام ابن القيم رحمه الله أحد أركان الكفر الأربعة: الكبْر، والحسد،

---

(١٩٣) أخرجه البخاري (٦١١٤) ومسلم (٢٦٠٩).

(١٩٤) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (١/ ٢٧٢) طبعة (١٤٢٤) للهجرة.

(١٩٥) أخرجه البخاري (٦١١٦).

والغضب، والشهوة. فالغضب مثل السّبُع إذا أفلته صاحبه بدأ بأكله[١٩٦].

وأخبر ﷺ بالأجر العظيم لمن كظم غيظه مع قدرته على إنفاذه فقال: «من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفّذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يُخيّره من أي الحور العين شاء»[١٩٧]، وسيرته ﷺ معطّرة بقصص حلمه وإعراضه عن الجاهلين. منها قصة ذي الخويصرة لما قال: يا رسول الله اعدل، فقال ﷺ: «ويلك، من يعدل إذا لم أعدل» فاستأذنه عمر في قتله، فقال: «لا» الحديث. متفق عليه. وكذا في سيرة أصحابه رضي الله عنهم وسيرة السلف الصالح.

ولما قال عُيينة بن حصن لعمر بن الخطاب: هِيْ يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به فقال له الحرّ بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ:] E F G H I J K L Z [الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله[١٩٨]. وفي ترجمة سبرة بن فاتك الأسدي رضي الله عنه أن رجلاً سبّه فكظم غيظه متحرجًا من جوابه حتى بكى من الغيظ[١٩٩]!

ولـــيس حليمًـــا مـــن تُقبّـــل كفّـــه فيرضـــى ولكـــنْ مـــن تُعـــضّ فيحلـــم[٢٠٠]

---

(١٩٦) الفوائد ص(١٥٧ ـ ١٥٩).

(١٩٧) أخرجه أحمد (الفتح الرباني ١٩/ ٧٩) أبو داود (٤٧٧٧) والترمذي وحسنه (٢٠٢١) وابن ماجه (٤١٨٦) وأورده النووي في رياض الصالحين فدلّ على ثبوته عنده وحسّنه الألباني صحيح الجامع (١/ ٦٣٩).

(١٩٨) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

(١٩٩) الإصابة (٢/ ١٤).

(٢٠٠) نسبه الذهبي للوزير ابن المغربي (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٦).

ويكون الغضب محمودًا بل مطلوبًا في حالة واحدة: إذا كان لأمر الله تعالى. قالت عائشة رضي الله عنها: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»(٢٠١).

وعلاج الغضب يكون بأمور منها:

١- ما أرشدنا إليه ربنا جل وعلا بقوله تعالى:] y z { | } ~ بِٱللَّهِ Z [فصلت:٣٦]. وما أرشدنا إليه الرسول ﷺ لذاك الرجل الذي غضب حتى احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد»(٢٠٢).

٢- ترويض النفس على كبح جماح الغضب، كما قال ﷺ: «إنما العلم بالتعلّم، والحلم بالتحلم»(٢٠٣).

٣- تغيير الهيئة: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب، وإلا فليضطجع»(٢٠٤). وقد فعل ذلك الصحابي الجليل أبو ذر رضي الله عنه لما أغضبه رجل فجلس ثم اضطجع، فلما سئل عن ذلك ذكر هذا الحديث(٢٠٥).

٤- السكوت، قال ﷺ: «إذا غضب أحدكم فليسكت» قالها مرتين(٢٠٦).

٥- ورُوي أنه يتوضأ، «إن الغضب من الشيطان، والشيطان خُلق من النار، وإنما تُطفأ

---

(٢٠١) أخرجه البخاري (٣٥٦٠) ومسلم (٢٣٢٨).

(٢٠٢) أخرجه البخاري (٣٢٨٢).

(٢٠٣) أخرجه الخطيب في تاريخه وحسنه الألباني (الصحيحة ٣٤٢).

(٢٠٤) أخرجه أبو داود (٤٧٨٢).

(٢٠٥) أخرجه أحمد وصححه ابن كثير في تفسيره (آية ١٣, آل عمران) والعراقي (تخريج الإحياء ٢٨٦٢).

(٢٠٦) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٤٥) وصححه الألباني (الصحيحة ١٣٧٥).

النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»[٢٠٧].

ما يستفاد من الحديث:

١- بيانه ﷺ لمعنى القوة الحقيقية.

٢- ذمّ الغضب، والتحذير منه.

٣- الحثّ على الحِلم.

* * * * *

(٢٠٧) أخرجه أحمد (الفتح الرباني ١٩/ ٨١) وأبو داود (٤٧٨٤) وإسناده ضعيف.

الحديث التاسع عشر

عن عثمانَ بن عفّان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَه» أخرجه البخاري[٢٠٨].

راوي الحديث:

أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أُمية بن عبد شمس القرشي الأُموي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وثالث الخلفاء الراشدين. من السابقين الأولين للإسلام. وُلد بعد عام الفيل بست سنين. تزوج رقية بنت الرسول ﷺ، وهاجرا معًا إلى الحبشة، ومرضتْ ﷺ قبل غزوة بدر، فتخلّف عن الغزوة ليمرّضها. وضربَ له الرسول ﷺ بسهمه وأجره. ولما ماتت زوجُه رقيّة أيام بدر، زوّجه رسول الله ﷺ بابنته الأخرى أم كلثوم؛ فلذا عُرف بـ: ذي النورين.

كان من الأسخياء، جهّز جيش العسرة، واشترى بئر أرومة. كان شديد الحياء، حتى قال ﷺ: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»[٢٠٩]. تولى الخلافة عام ٢٣ بعد مقتل عمر. وجمع المسلمين على مصحف واحد.

شهد له النبي ﷺ بالجنة في عدة أحاديث. ابتلي ببعض الخارجين عليه، وحاصروا داره. ورفض ﷺ أن تسيل قطرة دم واحدة من أجله. حتى تمكن البُغاة من الدخول عليه وقتلِه فمات شهيدًا.

وكان الرسول ﷺ قد أخبره بأنه سيبتلى ويُقتل مظلومًا. كما في حديث أبي موسى:

---

(٢٠٨) كتاب فضائل القرآن (٥٠٢٧).

(٢٠٩) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

« . . ائذن له وبشّره بالجنة على بلوى ستُصيبه»[٢١٠]، وقال له: «إن الله مقمّصك قميصًا (يعني الخلافة) فإذا أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه»[٢١١].

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ ذكر فتنة فقال: «يُقتل هذا فيها مظلومًا» يعني عثمان[٢١٢]، وقُتل رضي الله عنه وهو يقرأ القرآن، فكانت أول قطرة من دمه وقعت على قوله تعالى: [c d Z[البقرة:١٣٧][٢١٣]، وانتقم الله له من قتلته.

قال ابن كثير: «وقد أقسم بعض السلف بالله أنه ما مات أحد من قتلة عثمان إلا مقتولًا»[٢١٤] وكان قتله في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين. وهو ابن اثنتين وثمانين سنة رضي الله عنه.

شرح الحديث:

القرآن كلام الله عز وجلّ وعلا منه بدأ وإليه يعود. و«من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف ولكن: ألفٌ حرف، ولام حرف، وميم حرف»[٢١٥].

وقال ﷺ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه»[٢١٦]، وقال: «يُقال لصاحب

---

(٢١٠) أخرجه البخاري (٣٦٩٥) ومسلم (٢٤٠٣).

(٢١١) أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه وتعقبه الذهبي وصححه الحميّد بمجموع الطرق (مختصر استدراك الذهبي على الحاكم لابن الملقن (٣/١٢٧٠) وصححه عبد القادر الأرناؤوط في تحقيقه لجامع الأصول (٨/٦٤٤).

(٢١٢) أخرجه الترمذي وصحح ابن حجر إسناده (الفتح ٧/٣٨).

(٢١٣) أخرجه أحمد في: (فضائل الصحابة) قال محقّقه: بسند صحيح عن عمرة بنت أرطاة.

(٢١٤) البداية والنهاية (٧/١٨٩).

(٢١٥) أخرجه الترمذي وقال: حسن صحيح (٢٩١٠).

(٢١٦) أخرجه مسلم (٨٠٤).

القرآن: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[٢١٧].

والعجب من إعراض كثير من الناس عن قراءة القرآن فالبعض لا يقرؤه إلا في كل جمعة، والبعض أكثر من ذلك، بل ربما اكتفى بالقراءة فيه من رمضان إلى رمضان، نعوذ بالله من الخسران. قال الله تعالى على لسان رسوله ﷺ:] وَقَالَ © يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا Z [الفرقان: ٣٠].

وهجر القرآن نوعان: عدم العمل بما فيه من أحكام، والآخر عدم قراءته. وقد عظمت عناية السلف بتعلم القرآن وتعليمه لأبنائهم.

قال ابن أبي حاتم: «لم يدعني أبي أطلب الحديث حتى قرأت القرآن»[٢١٨]، وسأل الميموني الإمام أحمد: أيما أحبّ إليك: أبدأ ابني بالقرآن، أو بالحديث؟ قال له: لا، بالقرآن، القرآن»[٢١٩].

ولما مات ابن المبارك رآه رجل في المنام فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي برحلتي في الحديث، عليك بالقرآن، عليك بالقرآن»[٢٢٠].

«وتكرار القراءة للقرآن يفتح آفاقًا من المعرفة لطالب العلم، فقد ذكر عبّاس بن عبد الدايم المصري الكناني عن شيخ ضرير أنه أوصاهم بوصايا، منها: . . . أكثر من قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنه يتيسّر لك الذي تطلبه على مقدار ما تقرأ، قال: فرأيت ذلك وجرّبته كثيرًا، فكنت إذا قرأت تيسّر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم يتيسّر لي»[٢٢١].

و: «أهل القرآن هم أهل الله وخاصّته»[٢٢٢]. ولذا كان عمر بن عبد العزيز لا يستعمل على

---

(٢١٧) أخرجه أبو داود (١٢٥٢) والترمذي (٢٨٣٨).

(٢١٨) تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٣٠).

(٢١٩) طبقات الحنابلة (١/ ٢١٤).

(٢٢٠) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤١٩).

(٢٢١) معالم في طريق طلب العلم، الشيخ عبد العزيز السدحان، ص ١٩٧.

(٢٢٢) أخرجه أحمد والنسائي وحسنه العراقي (تخريج الإحياء ٨١٠) وصححه الألباني (ص.ج ٢١٦١).

الأعمال إلا أهل القرآن، فإنْ لم يكن عندهم خير فغيرهم أولى أن لا يكون عنده خير[٢٢٣].

قال ابن القيّم: «فما أشدّها من حَسْرة وأعظمها من غَبْنَة على من أفنى أوقاته في طلب العلم ثم يخرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشرَ قلبُه أسرَارَه ومعانيه فاللهَ المستعان»[٢٢٤]، فإذا كان ابن القيم يقول هذا عمن أفنى أوقاته في طلب العلم وانشغل به عن تدبر القرآن وفهم حقائقه، فما القول فيمن انشغل بقراءة الصحف والمجلات المبتذلة، يمضي الساعات كل يوم في تصفحها، وليس لكلام الله عز وجلّ من وقته نصيب، وكذا من أحرق وقته بمتابعة الفضائيات، والشبكة العنكبوتية، وهلمّ جرًا . .

وتجد البعض من هذا الصنف يتأثر بما يشاهده ويقرأه ويسمعه تأثرًا شديدًا، حتى ربّما بكى مِنْ أحداث مُسْلسَلة أو فلم أو قصة! ولكن هذا التأثر لا يكون عند قراءة كتاب الله! قال تعالى:] a b c d e f g Z [محمد:٢٤].

لكن كما قال بعض السلف. قد قيل له: إن قومًا يجدون قلوبهم في القصائد، ولا يجدونها في القرآن؟. فقال: إنّ القرآن عزيز، ويريد عقلًا عزيزًا، وهؤلاء عقولهم فيها ضعف[٢٢٥].

وصدق ذو النورين عثمان رضي الله عنه لما قال: «لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربّنا»[٢٢٦].

وينبغي لمن وفّقه الله لتعلّم كتابه الكريم أن يُعنى بأمور منها:

١- المراجعة المستمرة لما حَفِظَه: «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشدّ تفصّيًا

(٢٢٣) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٧).

(٢٢٤) بدائع الفوائد (١/ ١٩٤).

(٢٢٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٤١٢).

(٢٢٦) البداية والنهاية (٧/ ٢١٥).

من الإبل في عُقُلها»[٢٢٧].

٢- العمل بما فيه، من اتباع أوامره واجتناب نواهيه.

٣- التحلي بسمت أهل القرآن، والتأدب بآدابهم.

٤- تعليم القرآن لغيره، حتى يجمع الفضْلَيْن: تعلم القرآن وتعليمه، وهو من أفضل القربات، حتى أن الإمام سفيان الثوري لما سئل عن الجهاد وإقراء القرآن، رجّح الثاني، واستدل بحديث عثمان[٢٢٨].

وليتذكر كل منّا قوله ﷺ: «إنّ الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»[٢٢٩]. قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ: «وبه نعرف فضيلة الحِلَق الموجودة الآن في كثير من البلاد، ولله الحمد... فمن أسهم فيها بشيء فله أجر، ومن أدخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرّع، وعلّم فيها فله أجر، كلهم داخلون في قوله: «خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه»[٢٣٠].

ما يستفاد من الحديث:

١- فضل تعلم القرآن وتعليمه.

٢- من تعلّم القرآن وعلّمه فهو من خير هذه الأمة.

* * * * *

(٢٢٧) أخرجه البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١).

(٢٢٨) فتح الباري (٩/٧٧).

(٢٢٩) أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢٣٠) شرح رياض الصالحين (٤/٦٣٩).

الحديث العشرون

عن عمّار بن ياسر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرَّجُلَ لينْصَرِفُ وما كُتِبَ له إلّا عُشْرُ صَلَاتِه، تُسْعُها، ثُمْنُها، سُبْعُها، سُدُسُها، خُمُسُها، رُبُعها، ثلثُها، نِصْفُها» أخرجه أبو داود(٢٣١).

ترجمة الراوي:

عمار بن ياسر بن عامر بن مالك أبو اليقظان العنْسي. كان وأُمُّه من السابقين إلى الإسلام، ثم أسلم أبوه. قيل: لم يُسلم أبوا أحد من السابقين المهاجرين سوى عمار وأبو بكر(٢٣٢).

وكان رسول الله ﷺ يمرُّ بعمّار وأمّه وأبيه وهم يعذّبون فيقول: «صبرًا يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة»(٢٣٣)، «واتفقوا على أنه نزل فيه:] S T U V W X Z [النحل:١٠٦](٢٣٤). شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، ثم شهد معركة اليمامة ضد المرتدين فقُطعت أُذُنه بها.

---

(٢٣١) برقم (٧٩٦) عون (٣/٣) وصححه المناوي ونقل تصحيح العراقي له (فيض القدير ٢/٢٣٤) قال ابن باز: سنده جيد (فتاوى ١٢/٩) وحسّنه الألباني ص ج (١٦٢٢).

(٢٣٢) سير النبلاء (١/٤١٠).

(٢٣٣) أخرجه ابن إسحاق والحاكم والطبراني وصححه الألباني بطرقه (فقه السيرة ١٠٣).

(٢٣٤) الإصابة (٢/٥٠٦).

عيّنه عمر واليًا على الكوفة. من فضائله: ما أخرجه النسائي وابن ماجه عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مُلِئَ عمّار إيمانًا إلى مُشَاشِه»[٢٣٥]، ومنها: «جاء عمار بن ياسر يستأذن على النبي ﷺ فقال: «ائذنوا له مرحبًا بالطيّب المطيّب»[٢٣٦].

توفي رضي الله عنه مقتولاً في معركة صفين عام ٣٧للهجرة. وله ثلاث وتسعون سنة. وقد تواتر عنه ﷺ قوله: «ويْحَ عمّار تقتله الفئة الباغية»[٢٣٧].

معاني الكلمات:

لينصرف: أي من صلاته.

عشر صلاته: أي عُشر الأجر.

الشرح:

الصلاة عمود الإسلام، والخشوع هو لبّ الصلاة. وفي هذا الحديث يبيّن ﷺ كيف أن الرجل. وكذا المرأة. ينصرف من صلاته ولم يُكتب له من الثواب إلا عُشر صلاته، أو أكثر من

---

(٢٣٥) النسائي (٥٠١٠) وابن ماجه (١٤٧) وحسّنه ابن حجر في الإصابة (٥٠٦/٢) وعزاه إلى الترمذي ولم أجده عنده، وفي الفتح (٩٢/٧) عزاه إلى النسائي والبزار، وصحح إسناده والمشاشة: ما أشرف من عظم المنكب (لسان العرب. مادة مشش).

(٢٣٦) أخرجه الترمذي (٣٧٩٨) وقال: حسن صحيح، وصححه النووي (تهذيب الأسماء واللغات ٣٨/٢).

(٢٣٧) البخاري (٢٨١٢) ومسلم (٢٩١٥).

ذلك، أو ربما أقل، بل قد ينصرف ولم يكتب له منها شيء . فتبرأ ذمته بذلك، فلا يُطالب بإعادتها على الراجح من قولي العلماء، لكن لا ثواب له بتلك الصلاة[٢٣٨] .

أخرج البخاري عن شقيق (ابن سلمة) أن حذيفة رضي الله عنه رأى رجلًا لا يُتم ركوعه ولا سجوده، فلما قضى صلاته دعاه حذيفة فقال له: ما صليتَ، قال (شقيق): وأحسبه قال: ولو متَّ متّ على غير الفطرة التي فطر الله محمدًا ﷺ[٢٣٩] .

بل جعل ﷺ «أسوأُ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته» قالوا: يا رسول الله: وكيف يسرق من صلاته ؟ قال: «لا يُتمُّ ركوعها ولا سجودها» . أخرجه أحمد .

وجعل هذه الصلاة غير مُجزية: «لا تجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود» أخرجه الأربعة .

وقد مدح الله عز وجل الخاشعين في صلاتهم:] ! " # $ % & '

---

(٢٣٨) قال شيخ الإسلام في من أساء في صلاته «فهل يقال: إن وجودها كعدمها بحيث يعاقب على تركها؟ أو يقال:إنه يُثاب على ما فعله ويعاقب على ما تركه بحيث يجبر ما تركه من الواجبات بما فعله من التطوع؟ هذا فيه نزاع والثاني أظهر الفتاوى (٢٢/٥٣٢) وبحث الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ هذه المسألة في مدارج السالكين (١/٥٢٠)ورجّح القول بعدم الإعادة.

(٢٣٩) البخاري رقم (٧٩١)وذكر الشيخ الألباني أنه قد روي مرفوعًا بسند حسن عند أبي يعلى والطبراني وغيرهما. (صفة الصلاة ٩٨) وهذا الكتاب (صفه..) قال عنه الشيخ سلمان العودة«لو أن رجلا ً سافر إلى آخر الدنيا للحصول على هذا الكتاب لما كان كثير ً ا». شرح البلوغ ش(٩٣).

(Z [المؤمنون:١-٢]، وصحّ عنه ﷺ أنه قال: «أول ما يُحاسب به العبد الصلاة»[٢٤٠].

وهاك بعضاً من أخبار الخاشعين:

فهذا سيّد الخاشعين وإمام المتقين ﷺ يقول عنه عبد الله بن الشّخّير رضي الله عنه: «أتيتُ النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل من البكاء»[٢٤١]. وصاحبه الصّديق قالت عنه ابنته عائشة رضي الله عنها. تخاطب رسول الله ﷺ وهو في مرض موته.: «إن أبا بكر إذا قام مقامك لم يُسمع الناس من البكاء»[٢٤٢].

وقال عبد الله بن شدّاد: «سمعتُ نشيجَ عمر وأنا في آخر الصفوف فقرأ:] قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ Z [يوسف:٨٦][٢٤٣]، «وكان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود»[٢٤٤]، وحتى أثناء حصار الحَجّاج له، يقول ابن المنكدر: «لو رأيتَ ابن الزبير يصلّي تحت ظلّ شجرة كأنه غصن من أغصانها، ويجيئه المنجنيق من ها هنا وها هنا، فما يَلتفتُ إليه»[٢٤٥].

---

(٢٤٠) أخرجه النسائي (٣٩٩٦).

(٢٤١) أخرجه النسائي رقم(١٢١٥) قال ابن حجر: وإسناده قوي (٢/٢٠٦ الفتح).

(٢٤٢) البخاري (٦٧٩) ومسلم (٩٤٠).

(٢٤٣) البخاري باب إذا بكى الإمام في الصلاة (الفتح ٢/٢٠٦).

(٢٤٤) أخرجه البيهقي عن مجاهد قال ابن حجر: بإسناد صحيح (الفتح ٢/٢٢٦).

(٢٤٥) الزهد لأبي داود رقم(٣٨٩) وصححه المحققان ص(٣٢٤).

«وكان أبو صالح ذَكْوان السَّمَّان إذا أَمَّ قومه لا يُجيز الصلاة من الرقّة»[٢٤٦]، وسعيد بن عبد العزيز الدمشقي إذا دخل صلاة الجماعة بكى، فقال له رجل: ما هذا البكاء الذي يعرض لك في الصلاة؟ فقال: يا ابن أخي، وما سؤالك عن ذلك؟ فقال: لعل الله أن ينفعني به، فقال: ما قمتُ إلى صلاة إلاّ مُثّلتْ لي جهنم[٢٤٧]. إلى غير ذلك من أخبار الخاشعين.

ومن تأمل صلاة كثير من المسلمين اليوم. هداهم الله. لا يجد فيها إلا الاسم فقط، «وعجبًا لابن آدم كيف يلعب به الشيطان وهو واقف بين يدي الله عز وجل يناجي الله ويتقرّب إليه بكلامه وبالثناء عليه وبالدعاء ثم كأنّه ملحوقٌ في صلاته، كأنّ عَدوًّا لاحقٌ له فتراه يهرب من الصلاة.

أنت لو وقفتَ بين يدي ملك من ملوك الدنيا يناجيك ويخاطبك لو بقيت معه ساعتين تكلمه لوجدتَ ذلك سهلًا . . فكيف وأنت تناجي ربّك الذي خلقك ورزقك وأمدّك وأعدك تناجيه وتهرب هذا الهروب»!؟[٢٤٨].

قال الإمام ابن القيم. رحمه الله تعالى.: «للعبد بين يدي الله موقفان: موقف بين يديه في الصلاة وموقف بين يديه يوم لقائه، فمن قام بحق الموقف الأول هُوّن عليه الموقف الآخر، ومن استهان بهذا الموقف ولم يوفه حقه شُدّد عليه ذلك الموقف. .»[٢٤٩].

فعلينا جميعًا أن نسعى لإقامة الصلاة وأدائها كما ينبغي. وأُحيل القارئ الكريم إلى ثلاث رسائل نافعة في هذا الباب: الأولى: الخشوع في الصلاة، أوْ الذلّة والانكسار، للإمام ابن رجب، الثانية: ٣٣سببًا للخشوع في الصلاة، للشيخ محمد المنجد، والثالثة: كيف تخشعين في صلاتك؟ للدكتورة

---

(٢٤٦) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ٢٧٥, ٢٩٨) وسنده صحيح.

(٢٤٧) سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٤).

(٢٤٨) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٦٨).

(٢٤٩) الفوائد ص(٢٠٠).

رقية المحارب.

ما يستفاد من الحديث:

٣- عظم شأن الصلاة.

٤- تفاوت أجور المصلين بحسب خشوعهم فيها.

٥- الحثّ على تحصيل الثواب الأكبر من الصلاة.

* * * * *

الحديث الحادي والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انْظُرُوا إلى مَنْ هو أَسْفَلَ مِنْكُم، ولا تَنْظُرُوا إلى مَنْ هو فوْقَكُم، فهو أَجْدَرُ أَنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ الله» أخرجه مسلم، والبخاري بنحوه(٢٥٠).

راوي الحديث:

سبق التعريف به في الحديث الرابع عشر، والحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

أسفل منكم: أي: دونكم في أمور الدنيا.

أجدر: أحقّ. تزدروا: تحتقروا.

الشرح:

هذا الحديث من الأحاديث الجامعة للخيرات، ففيه توجيهه ﷺ وإرشاده بالنظر إلى من هو دون الإنسان في الأمور الدنيوية، وفي المقابل نهيه عن النظر إلى من هو فوقه في حظوظ الدنيا، ثم بيّن العلّة بأن ذلك خشية أن لا يحتقر ويستصغر ما أنعم الله به عليه. فـ: «يا لها من وصية نافعة، وكلمة شافية وافية، فهذا يدل على الحثّ على شكر الله بالاعتراف بنعمه والتحدّث بها، والاستعانة بها على طاعة المنْعِم، وفعلِ جميع الأسباب المعينة على الشكر.

وقد أرشد ﷺ إلى هذا الدواء العجيب والسبب القوي لشكر نعم الله، وهو أن يلحظ العبد من هو دونه في العقل والنسب والمال وأصناف النعم، فمتى استدام هذا النظر اضطره إلى كثرة شكر ربه والثناء عليه. فإنه لا يزال يرى خلقًا كثيرًا دونه بدرجات في هذه الأوصاف.. فيحمد الله على ذلك حمدًا كثيرًا، ويقول: الحمد لله الذي أنعم عليّ وفضّلني على كثير ممن خلق

---

(٢٥٠) مسلم كتاب الزهد رقم(٢٩٦٢) ولفظ البخاري: «إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخَلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فضّل عليه» رقم(٦٤٩٠).

تفضيلًا . ينظرُ إلى خلق كثيرٍ ممن سُلبوا عقولهم، فيحمد ربه على كمال العقل . ويشاهد عالمًا كثيرًا ليس لهم قوت مدّخَر، ولا مساكن يأوون إليها ، وهو مطمئن في مسكنه، موسّع عليه رزقه . ويرى خلقا كثيرًا قد ابتلوا بأنواع الأمراض، وأصناف الأسقام وهو معافى من ذلك . . ويتأمل أناسًا كثيرين قد استولى عليهم الهمّ، وملكهم الحزن والوساوس، وضيق الصدر، ثم ينظر إلى عافيته من هذا الدواء، ومنّه الله عليه براحة القلب، حتى ربما كان فقيرًا يفوق بهذه النعمة . نعمة القناعة وراحة القلب . كثيرًا من الأغنياء .

ثم من ابتلي بشيء من هذه الأمور يجد عالمًا كثيرًا أعظم منه وأشدّ مصيبة، فيحمد الله على وجود العافية وعلى تخفيف البلاء، فإنه ما من مكروه إلا ويوجد مكروه أعظم منه . فمن وفق للاهتداء بهذا الهدي الذي أرشد إليه النبي ﷺ لم يزل شكره في قوة ونمو، ولم تزل نعم الله عليه تترى وتتوالى . ومن عكس القضية فارتفع نظره فصار ينظر إلى من هو فوقه في العافية والمال والرزق وتوابع ذلك، فإنه لا بدّ أن يزدري نعمة الله، ويفقد شكره، ومتى فقد الشكر ترحّلتْ عنه النعم، وتسابقت إليه النقم . وامتحن بالغم الملازم والحزن الدائم، والتسخط لما هو فيه من الخير .

واعلم أن من تفكّر في كثرة نعم الله . . . استحى من ربّه أن يستعين بشيء من نعمه على ما لا يحبّه ويرضاه، وأوجب له الحياء من ربّه الذي هو من أفضل شعب الإيمان، فاستحى من ربّه أن يراه حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره»[٢٥١] .

ما يستفاد من الحديث:

١ . عنايته ﷺ بتوجيه أمّته إلى ما فيه صلاح دينها ودنياها .

٢ . حثّ الشارع على أن ينظر الإنسان إلى من هو دونه لا إلى من هو فوقه، وذلك في الأمور الدنيوية .

٣ . وعلّل ذلك: حتى لا يحتقر الإنسان ويستصغر ما أنعم الله به عليه .

---

(٢٥١) بهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ ولنفاسة كلامه اضطررت إلى نقل أكثره (٨٦ ـ ٨٩).

٤. يُفْهَمُ من الحديث أن ما يتعلق بأمور الدين أن ينظر الإنسان إلى من فوقه حتى يكون دافعًا له على بذل المزيد واستباق الخيرات.

* * * * *

الحديث الثاني والعشرون

عن النُّعْمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «تَرَى المؤمنينَ في تَرَاحُمِهِمْ وتَوادّهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ كمَثَلِ الجسَدِ، إذا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعى له سَائِرُ جَسَدِه بالسَّهَرِ والحُمّى» متفقٌ عليه(٢٥٢).

راوي الحديث:

سبق التعريف به في الحديث الرابع.

معاني الكلمات:

تداعى: دعا بعضه بعضاً.

الشرح:

يبيّن ﷺ في هذا الحديث ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من رحمة بعضهم ببعض وعطفهم ومودتهم، وذلك ببذل الأسباب المعينة على ذلك، من تقديم العون والمساعدة خاصة عند المحن والمصائب، وكذا تقديم ما يجلب المحبة والمودة بالتزاور والتهادي ونحوهما. وما أجمل هذا التشبيه وأحسنه منه ﷺ، حيث شبه المؤمنين بأنهم كجسد واحد إذا اشتكى عضوًا دعا بعض الجسد بعضه إلى المشاركة في تحمل هذا الألم، فلا يتمكن من الراحة والنوم، فيبقى ساهرًا قد أصابته الحمّى.

وفي رواية للإمام مسلم «..إذا اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد..»، وفي أخرى: «..إن اشتكى عينه اشتكى كله..».

---

(٢٥٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب رقم(٦٠١١)ومسلم كتاب البرّ رقم(٢٥٨٦) وعنده: «..إذا اشتكى منه عُضوٌ..»

وهذا الحديث وأمثاله من الأحاديث الصحيحة تغني عن بعض الأحاديث الضعيفة والواهية، ومن أشهرها في هذا المعنى حديث: «من لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم» ولا يصح سنده[٢٥٣].

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ معلقًا على أحداث البوسنة وما جرى من مذابح للمسلمين ـ والمشهد يتكرر، بل لم ينقطع، وإنما يتغيّر المكان، أمّا الضحية فهم المسلمون! ـ قال رحمه الله:

« . . ولا أدلّ على ذلك ـ أي: من ضعف المسلمين وتخاذلهم ـ مما نحن فيه اليوم، ففي بلد الإسلام اليوم من تُنتهك أعراضهم، وتُهدم مساجدهم، وتغنم أموالهم، وتسبى ذريتهم من قِبَل النصارى، ونحن أمّة لا تتكلم بما يجب علينا أن تتكلم به، وما يُفعل بالمسلمين اليوم في البوسنة أمر يفطر الأكباد في الواقع، فلو أن الإنسان منا تصوّر ـ لا قدّر الله علينا إلا الخير ـ أن عَدُوّه على أشراف المدينة، أو دخل المدينة، وأن صبيانه وفتيانه الصغار ينادون: جاءنا الصّرْب، جاءنا الصّرْب، ويبْكون من هول ذلك المشهد، وهو قد تقطّع كبده دمًا لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا، فهل نحن نشعر بهذا الشعور الآن؟ أبدًا كل واحد منّا على فراشه مع أهله، ولا كأنّ شيئًا يجري على إخوانه . . والله إنّ الإنسان أحيانًا لا ينام سريعًا كما ينام في العادة إذا تذكّر هؤلاء الإخوان المحصورين على يد هؤلاء الصرب المعتدين الظالمين . . . ولا سمعنا أحدًا رفع صوته مدويًا من رؤساء المسلمين ينكر هذا الفعل.

فأين التناصر بين المسلمين؟!

---

(٢٥٣) قال الهيثمي في مجمع الزوائد رواه الطبراني وفيه يزيد بن ربيعة الرحبي وهو متروك (٢٤٨/١٠) وأشار المعلمي في تحقيقه للفوائد المجموعة إلى أن سند الحديث واه جدًا وإن كان المعنى صحيحًا ص(٨٣) وذكر الألباني ثلاثة أحاديث بهذا المعنى في السلسلة الضعيفة (٣٠٩، ٣١٠، ٣١١).

أين الجسد الواحد الذي إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر؟!

وكيف يُمكن أن نُنصَرَ ونحن متخاذلون هذا التخاذل؟»[٢٥٤].

ما يستفاد من الحديث:

١ - تقريبُ الأفهام بضربِ الأمثلة.

٢ - عِظَمُ حقِّ المسلمين بعضهم على بعض.

٣ - الحثّ على الرحمة بين المؤمنين وتعاطفهم ومودتهم.

٤ - عنايته ﷺ بإرشاد أمته إلى ما يزيد ألفتهم ومحبتهم.

٥ - توجيه المسلم إلى تحقيق مبدأ الجسد الواحد بالتألّم لمصاب إخوانه المسلمين والشعور بآلامهم، ومدّ العون لهم.

* * * * *

(٢٥٤) لقاء الباب المفتوح اللقاء الخامس والخمسون بتاريخ ١٠/١١/ ١٤١٤ للهجرة دار الوطن الطبعة الأولى ١٤١٨ للهجرة.

الحديث الثالث والعشرون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يستطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أَضْعَفُ الإيمانِ» أخرجه مسلم(٢٥٥).

راوي الحديث:

سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته، ردّه الرسول ﷺ يوم أُحد لصغر سنه، واستشهد أبوه بها. وشهد أبو سعيد الخندق وما بعدها. وهو أحدُ السبعة المكْثرين من رواية الحديث. وكان من علماء الصحابة وفقهائهم. اختلف في سنة وفاته، فقيل سنة٦٤، وقيل ٧٤ رضي الله عنه.

معاني الكلمات:

رأى: علم، سواء رآه بعينه، أو لم يره.

أضعف الإيمان: أقله ثمرة.

الشرح:

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة، والأصول المهمة لهذا الدين، فأحكام الشرع بين معروف يؤمر به، ومنكر يُنهى عنه. وقد أثنى الله على هذه الأمة المصطفاة بإقامة هذه الشعيرة بل جعلها أول الصفات في هذه الأمة:] . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 :Z [آل عمران:١١٠].

ووصف المؤمنين والمؤمنات بقوله تعالى:] a b c d e f

---

(٢٥٥) كتاب الإيمان برقم(٤٩).

Z k j i h g [التوبة:٧١]، والمتّصفون بذلك هم من يحفظ المجتمع من أن تغرق سفينته، كما في حديث النعمان بن بشير: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة . .» الحديث. وفي آخره: «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم نجوْا، ونجوا جميعًا»(٢٥٦).

«وقوله ﷺ: «فليغيّره» أمر إيجاب بإجماع الأمة. وقد تطابق على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الكتاب والسنة وإجماع الأمة، وهو أيضاً من النصيحة التي هي الدين»(٢٥٧).

ولابدّ للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من أمور ثلاثة: «العلم، والرفق، والصبر، العلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده»(٢٥٨) ومراتب تغيير المنكر بيّنها الرسول ﷺ في هذا الحديث: باليد، وذلك لمن كان له سلطة، كالرَّجُل في بيته، والمدير في دائرته، والحاكم في بلده، وباللسان لمن عجز عن المرتبة الأولى، دون تشهير أو تحقير، وأدنى المراتب بالقلب، فيكره هذا المنكر، ويتمنى زواله. وليس بعد ذلك مرتبة في الإنكار.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «واعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضُيِّع أكثره من أزمان متطاولة، ولم يبق منه في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جدًا . .»(٢٥٩)!! فإذا كان هذا كلامه رحمه الله وقد عاش في القرن السابع الهجري (ت ٦٧٦) فما عسى أن نقول عن هذه الشعيرة العظيمة في هذا العصر؟! وما يتعرض له أهل الحسبة ـ صمام أمن المجتمع ـ من قدح وطعن فيهم من قِبَل بعض ضعاف النفوس؟!

قال العلّامة محمد البشير الإبراهيمي ـ رحمه الله ـ: «لو لم يكن من أصول دينكم أيها الإخوة

---

(٢٥٦) أخرجه البخاري رقم(٢٤٩٣).

(٢٥٧) النووي شرح مسلم (٢/ ٢٢).

(٢٥٨) ابن تيمية الفتاوى (٢٨/ ١٣٧).

(٢٥٩) شرح مسلم (٢/ ٢٤).

وتعاليمه إلا هذا الأصل ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ لكفاه دلالة على أنه دين اجتماع وعمران وحياة وبقاء، ولو لم نُضعْ ـ فيما أضعنا من تلك الأصول ـ إلّا هذا الأصل لكفانا مقتًا واستحقاقًا لغضبه، واستبداله بنا قومًا غيرنا»[٢٦٠].

ومن المؤسف أن هذه الأمة ـ التي هي خير أمة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ـ لا يوجد في دُولها جهة تُعنى بإقامة هذه الشعيرة عبر هيئة أو مؤسسة أو إدارة، فضلًا عن وزارة، إلا هذا البلد المبارك، المملكة السعودية[٢٦١].

وفّق الله ولاتها لكل خير، وأعزّهم بالإسلام. فهم منذ نشأة هذه الدولة يولون جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عناية عظيمة.

وأكتفي بذكر بعض الأمثلة على ذلك: قال مؤسس الدولة السعودية الثانية الإمام تركي بن عبد الله ـ رحمه الله تعالى ـ في نصيحة قيمة له: «وأنا مطلق الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، ويَنْصَحُ أولًا، ويُؤدّبُ ثانيًا، ومن عارضه خاص أو عام فأدبه الجلاء من وطنه»[٢٦٢].

وقال المؤسس الملك عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ في نصيحة قيّمة له: «.. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله من أعظم الواجبات، وأهم المهمات.. فكونوا من تركه على حذر عظيم.. فلا صلاح للخاصة والعامة، في جميع القرى، إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. وبتركه والتغافل عنه يكثر الشر والفساد»[٢٦٣]. وقال في برقية لابنه سعود ـ

---

(٢٦٠) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى (١ ١ / ١٣٤).

(٢٦١) في حين أنه لا توجد دولة من دول العالم الإسلامي إلا وفيها إدارة أو مؤسسة أو وزارة تُعنى بشؤون الآثار وهو أمر لم تعرفه هذه الأمة إلا ّ عند احتلال الصليبيين بعض أراضيها، بعد الحرب العالمية الأولى!

(٢٦٢) الدرر السنية (١٤ / ٦٠).

(٢٦٣) الدرر السنية (١٤ / ٣٧٠ ـ ٣٧١).

رحمهما الله تعالى. بعد تعيينه وليًا للعهد عام١٣٥٢: « . . وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون ذلك كله على برهان وبصيرة في الأمر، وصدق في العزيمة. . وأوصيك بعلماء المسلمين خيرًا احرص على توقيرهم ومجالستهم، وأخذ نصيحتهم. . »[٢٦٤].

واعلم أنه ليس من شروط الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون كامل الحال، بل هذا من مداخل الشيطان ليصرف الناس بحجة أنهم لا يخلون من منكرات.

قال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى -: «لو أنّ المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى يُحكم أمر نفسه لتواكل الناس الخير، ولذهب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢٦٥].

ومن العجب أن البعض يظن - جهلًا منه - أن ظهور المنكرات مع السكوت عن إنكارها لا تضر إلا صاحبها ويستدلون بقوله تعالى: [; > = < ? A B Z [المائدة:١٠٥]، مع أن هذا المفهوم الخطأ لهذه الآية قد صححه أبو بكر الصديق فقال رضي الله عنه: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية: [; > = < ? Z [المائدة:١٠٥]، وإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أو أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه»، أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، قال النووي: بأسانيد صحيحة[٢٦٦].

فائدة:

نقل الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله تعالى[٢٦٧] - في كتابه القيّم: (معجم المناهي اللفظية) عند

---

(٢٦٤) الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز آل سعود، الطبعة الخامسة ١٩٨٨م ص(١٥٩).

(٢٦٥) البداية والنهاية (٩/ ٢٠٩).

(٢٦٦) رياض الصالحين حديث رقم(٢٠٢).

(٢٦٧) أصيبت الأمّة بموته قبل عصر الثلاثاء (١/ ٢٧) من العام ١٤٢٩ فرحمه الله وجزاه الله عن الإسلام

كلمة: فُضُولي، قوله:«في (حاشية ابن عابدين) أن من قال هذا اللفظ لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو مرتدّ»[٢٦٨].

ما يستفاد من الحديث:

١- أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢- وجوب تغيير المنكر حسب الاستطاعة.

٣- مراعاة الشارع أحوال المكلفين، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

٤- إنكار المنكَر لا يستلزم زواله.

* * * * *

والسنة خير ًا.

(٢٦٨) معجم المناهي الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ.

الحديث الرابع والعشرون

عن أبي قَتَادَةَ ﷺ قال: سمعتُ النّبي ﷺ يقول:«الرُّؤيا الحَسَنَةُ مِنَ الله، فَإذَا رَأَى أَحَدُكُمْ ما يُحِبُّ فَلا يُحدّثْ به إلّا مَنْ يُحِبّ، وإذا رَأَى ما يَكْرَهُ فليتعَوّذْ بالله مِنْ شَرّهَا، ومِنْ شَرّ الشَّيْطَانِ، وليَتفِل ثلاثا، ولَا يُحدِّثْ بها أَحَدًا فإنها لَنْ تضرّه»[٢٦٩] أخرجه البخاري ومسلم.

راوي الحديث:

أبو قتادة بن ربْعي الأنصاري الخزرجي، اشتهر بكنيته، واسمه الحارث، وقيل: النعمان، وقيل: عمرو. اختلف في شهوده بدرًا وشهد أحدًا وما بعدها، وكان يُقال له: فارس رسول الله ﷺ، وأثنى عليه يوم غزوة ذي قرد بقوله: «كان خير فرساننا اليوم أبو قتادة»[٢٧٠]. ودعا له ﷺ بقوله: «حفظك الله بما حفظتَ به نبيّه». في قصة أخرجها الإمام مسلم[٢٧١]. ووصفه أبو بكر الصديق ﷺ بمحضر من رسول الله ﷺ بأنه: «أسد من أُسد الله»[٢٧٢]. مات ﷺ وأرضاه سنة ٤٠للهجرة، وقيل: بعدها.

معاني الكلمات:

الرؤيا: الحُلم.

الشرح:

يرشد الرسول ﷺ أمته إلى كل ما فيه صلاح شأنهم في دينهم ودنياهم، حتى ما يعرض لهم في حال نومهم.

وقد أخبر ﷺ أن الرؤيا ثلاثة أقسام:

---

(٢٦٩) البخاري كتاب التعبير رقم(٧٠٤٤) ومسلم كتاب الرؤيا (٢٢٦١).

(٢٧٠) أخرجه مسلم (١٨٠٧).

(٢٧١) برقم (٦٨١).

(٢٧٢) أخرجه البخاري (٤٣٢١) ومسلم (١٧٥١).

١- الرؤيا الحسنة الصالحة، التي يُسر بها الرائي هي من الله، وهي من المبشّرات، كما أخبر بذلك ﷺ بقوله: «لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو تُرى له»[٢٧٣] فمن رأى رؤيا صالحة فليحمد الله عليها[٢٧٤]، ولا يُحدّث بها إلا من يُحبّ.

٢- الرؤيا المكروهة، وهي من الشيطان «بمعنى أنها تناسب صفته من الكذب والتهويل وغير ذلك»[٢٧٥]، وهذه أرشد الرسول ﷺ من يراها إلى أمور هي:

١. التعوذ بالله من شرها، ومن شرّ الشيطان. فيقول: أعوذ بالله من شرّ الشيطان ومن شرّ ما رأيت، ثلاث مرات.
٢. أن يتفل ثلاثًا عن شماله.
٣. أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه[٢٧٦].
٤. أن لا يحدّث بها أحدًا.
٥. أن يقوم فيصلي[٢٧٧].

فهذا هو الهدي النبوي لمن رأى رؤيا يكرهها « وبعض الناس إذا رأى شيئًا يكرهه ذهب يتلمّس من يفسّر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا

---

(٢٧٣) أخرجه مسلم (٤٧٩) والبخاري بنحوه (٦٩٩٠).

(٢٧٤) أخرجه البخاري عن أبي سعيد (٦٩٨٥).

(٢٧٥) فتح الباري (١٢/ ٣٩٣).

(٢٧٦) مسلم (٢٢٦٢).

(٢٧٧) أخرجه مسلم (٢٢٦٣) والبخاري (٧٠١٧) موقوفًا وانظر كلام ابن حجر عن رفع الحديث ووقفه (الفتح ١٢/ ٤٠٧، ٤٠٩).

يكرهونها، فلمّا حدّثهم النبي ﷺ بهذا الحديث استراحوا . . »[٢٧٨] .

قال أبو سلمة بن عبد الرحمن . رحمه الله - :«إن كنتُ لأرى الرؤيا فتُمرضني . فلقيتُ أبا قتادة فقال:وأنا إن كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: . . . » وذكر الحديث .

وقسم ثالث من الرؤى هو:

٣- حديث النفس: ويكون غالبًا عند تعلق قلب الإنسان وفكره بأمر من الأمور .

ومن العجب ما نراه من حرص كثير من الناس على السؤال عن رؤاهم، وبحثهم عن معبّر لها، ولا تجد من هذا الصنف في الغالب هذا الحرص في أمور دينه! جاء في ترجمة الشيخ علي بن محمد السناني (ت١٣٣٩) . رحمه الله - : « . . واشتهر في التعبير فكان الناس يفدون إليه من بلدان كثيرة ليعبر لهم، وإذا خرج من بيته وجدهم ينتظرون خروجه من رجال ونساء، وفي المسجد يملؤن رحبته للتعبير عن مرائيهم، وكان يقول: لو أن الناس يسألون عن دينهم جزءًا مما يسألون عن مناماتهم لصاروا فقهاء»[٢٧٩] .

ذكر لي أحد المعبّرين أنه يملك هاتفين محمولين(جوّال) جعل أحدهما للسائلين عن الرُّؤى، وأنه ربّما تلقى في اليوم الواحد قرابة(٤٠٠) اتصال! نسأل الله أن يرزقنا الفقه في الدين . آمين .

* * * * *

(٢٧٨) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٧/ ٤٠١) الطبعة الأولى ١٤١٦ للهجرة.

(٢٧٩) روضة الناظرين محمد القاضي (١/ ١٣٩ ـ ١٤٠).

الحديث الخامس والعشرون

عن تميم الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةَ» قُلْنا: لِمَنْ؟ قال: «للهِ ولِكِتَابِه ولِرَسُولِه ولأَئِمَّةِ المسْلِمينَ وعَامّتِهم» أخرجه مسلم(٢٨٠).

راوي الحديث:

تميم بن أوس بن خارجة أبو رقية الداري. كان نصرانيًا ثم قدم المدينة في السنة التاسعة فأسلم، وذكر للرسول ﷺ قصة الجساسة والدجال فحدّث بها الرسول ﷺ عنه. ولم يحدّث ﷺ عن أحد غيره. فعدّ ذلك من مناقبه. وكان كثير العبادة والصلاة بالليل. قام ليلة بآية حتى أصبح، وهي قوله تعالى:] أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ μ ¶ ﴿ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ Z [الجاثية:٢١](٢٨١)، وكان يختم القرآن في كل سبعة أيام. مات سنة ٤٠ للهجرة رضي الله عنه.

معاني الكلمات:

النصيحة: أصل النصح في اللغة الخلوص، يقال: نصحتُ العَسَل إذا خلّصْته من الشمع.

أئمة المسلمين: حكامهم وعلماؤهم.

الشرح:

هذا الحديث عدّه بعض العلماء من الأحاديث العظيمة التي يدور عليها الدين، فقوله ﷺ: «الدين النصيحة» دالٌ على ذلك، فكأنما جعل النصيحة هي الدين لعظم شأنها، كقوله ﷺ: «الحج عرفة». وقد أرشد الرسول ﷺ إلى أهمية النصيحة في أكثر من حديث، قال جرير بن

---

(٢٨٠) كتاب الإيمان، برقم: (٥٥).

(٢٨١) عزاه ابن حجر في (الإصابة) إلى البغوي في الجعديات، وقال: بإسناد صحيح (١/ ١٨٦).

عبد الله رضي الله عنه: بايعتُ النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٢٨٢] وحديث: «إن الله يرضى لكم ثلاثا . . .» . وذكر منها: «وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم» وغيرها من الأحاديث.

ثم سأل الصحابة: لمن؟ فقال ﷺ: «لله»: «والنصيحة لله عز وجل تكون بالإخلاص له تعالى، والتعبد له محبه وتعظيمًا . . وأن تكون غيرته لله إذا انتهكت محارمه . . وأن يذبّ عن دين الله تعالى . . فيبطل كيدِ الكائدين، ويردّ على الملحدين الذين يعرضون الدين، وكأنه قيود . . ومن النصيحة لله أن يكون باثا دين الله في عباد الله، لأن هذا مقام الرسل . .»[٢٨٣] .

«ولكتابه» أي بتلاوته وحفظه وتدبره، والعمل بما فيه، وأن تسعى لتعليمه ونشره، وبيان معانيه للناس[٢٨٤] .

«ولرسوله» وتكون بالإيمان أنه رسول الله حقًا، وأنه خاتم المرسلين وأفضلهم، وأن الله أرسله إلى الناس كلهم، بل إلى الثقلين، الإنس والجن.

ومنها: طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر. وتقديم محبته على محبة النفس والأهل.

«ولأئمة المسلمين» «وهم ولاتهم من الإمام الأعظم إلى الأمراء والقضاة . . فباعتقاد ولايتهم والسمع والطاعة لهم، وحثّ الناس على ذلك . .» وكذا «حبّ صلاحهم ورشدهم وعدلهم، وحبّ اجتماع الأمة عليهم . . والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم . .»[٢٨٥] .

«ومن النصح لعلماء المسلمين أن لا يتتبع الإنسان عوراتهم وزلّاتهم، وما يخطئون فيه، لأنهم

---

(٢٨٢) البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦).

(٢٨٣) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٦٥ ـ ٤٦٨) الطبعة الأولى.

(٢٨٤) ابن سعدي بهجة قلوب الأبرار ص(٢٦).

(٢٨٥) ابن رجب جامع العلوم والحكم ص(٧٦) دار المعرفة.

غير معصومين»[٢٨٦].

«وعامتهم» والنصيحة لعامة المسلمين بأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكرهه لنفسك. وأن تُعلّم جاهلهم، وترشد ضالهم، ترحم صغيرهم، وتوقّر كبيرهم.

ومما ينبغي التنبه له أن النصيحة لأخيك المسلم تكون سرًّا بينك وبينه، وليس على رؤوس الأشهاد. فالأولى هي النصيحة، وأدعى أن يقبل المنصوح، أما الأخرى فهي التعيير والفضيحة.

ما يستفاد من الحديث:

١- عِظَم شأن النصيحة.

٢- حرص الصحابة رضي الله عنهم على السؤال عما ينفعهم.

٣- وجوب النصيحة على كل مسلم.

فائدة:

للإمام ابن رجب (ت ٧٩٥). رحمه الله تعالى. رسالة نافعة في هذا الباب، بعنوان: «الفرق بين النصيحة والتعيير».

* * * * *

(٢٨٦) ابن عثيمين ص(٤٧٧).

الحديث السادس والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرُونَ مَا المُفْلِسُ؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتاعَ، فقال: «إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأتِي يَوْمَ القِيامَةِ بِصَلاةٍ وصِيَامٍ وزَكَاةٍ، ويَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذا، وقذفَ هَذا، وأكلَ مَالَ هَذا، وَسفكَ دَمَ هَذا، وضرَبَ هَذا، فيُعْطى هَذا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذا مِنْ حسَناتِهِ، فإنْ فَنِيتْ حسَناتُه قَبْلَ أنْ يُقْضى ما عَلَيْه أُخِذَ مِنْ خَطَاياهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثمّ طُرِحَ فِي النَّارِ» أخرجه مسلم(٢٨٧).

راوي الحديث:

سبق التعريف به في الحديث الرابع عشر، والحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

قذف: رمى بالفاحشة. سَفَك: أراق. فَنِيت: انتهت.

الشرح:

في هذا الحديث يطرح الرسول ﷺ على أصحابه سؤالاً بقوله: «ما المفلس» وذلك حتى يشوّقهم لسماع الإجابة. فقالوا رضي الله عنهم: من لا درهم له ولا متاع. هذا هو المفهوم المتعارف عليه بين الناس، فصحّح لهم ﷺ المفهوم الصحيح للمفلس، فذاك وإن كان مفلسًا في الدنيا، فإن المفلس الحقيقي هو مفلس الآخرة، من يأتي بأعمال صالحة من صلاة وصيام وزكاة، ولكنه يأتي بما يُذهبها، «يأتي قد شتم هذا وقذف هذا . . . .» فهو قد اعتدى على غيره وظلمه، وقد حذر الله عزّ وجل منه، ومن عاقبة الظالمين في أكثر من آية، فقال تعالى:] وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ Z [إبراهيم:٤٢]، وقال تعالى:] ، لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ Z [الحج:٧١]، وقال:] : ; >

---

(٢٨٧) كتاب البر والصلة برقم (٦٥٧٩).

= > ? @ Z [غافر:١٨]، وقال في الحديث القدسي: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا . . .»[٢٨٨]، وحذر منه ﷺ في عدة أحاديث منها: «إن الله ليملي الظالم فإذا أخذه لم يُفلته. ثم قرأ:] [^ _ ` a b Z [هود:١٠٢][٢٨٩]، وقال: «الظلم ظلمات يوم القيامة»[٢٩٠]، وقال: «من ظلم قِيد شبر طُوّقه من سبع أرضين»[٢٩١]، وقال: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة»، فقال له رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسول الله؟ فقال: «وإنْ قضيبًا من أراك»[٢٩٢].

وحذّر من دعوة المظلوم «. . واتّقِ دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[٢٩٣].

حتى ولو كان هذا المظلوم فاجرًا: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا؛ ففجوره على نفسه»[٢٩٤]، وأوجب رد المظالم إلى أهلها «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ثَمّ دينار ولا درهم من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أُخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[٢٩٥].

فيا شقاء وبؤس من يأتي يوم القيامة بهذه الأعمال الصالحة، ثم يرى تلك الحسنات تُؤخذ منه

---

(٢٨٨) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢٨٩) أخرجه البخاري (٤٦٨٦) ومسلم (٢٥٨٣).

(٢٩٠) أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (٢٥٧٩).

(٢٩١) أخرجه البخاري (٢٤٥٣) ومسلم (١٦١٢).

(٢٩٢) أخرجه مسلم (١٣٧).

(٢٩٣) البخاري (١٤٩٦) ومسلم (١٩).

(٢٩٤) قال ابن حجر: أخرجه أحمد، وسنده حسن، الفتح (٣/٣٦٠) وكذا حسّنه الشوكاني: (نثر الجوهر ص٨٢).

(٢٩٥) البخاري (٦٥٣٤).

شيئًا فشيئًا حتى تفنى، ليس هذا فحسب؛ بل بعد ذلك يؤخذ من سيئاتهم فتُطرح عليه ثم يطرح في النار! أعاذنا الله منها.

واعلم أن الظلم ثلاثة أنواع: «نوع لا يغفره الله، وهو الشرك بالله، [X W V U T Z Z Y [النساء:١١٦]، ونوع لا يترك الله منه شيئًا، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، فمن كمال عدله أن يقتص بعضهم من بعض بقدر مظالمهم. ونوع تحت مشيئة الله، إن شاء عاقب عليه، وإن شاء عفا عن أهله، وهو الذنوب التي بين العباد وبين ربّهم فيما دون الشرك»[٢٩٦].

ما يستفاد من الحديث:

١ - حرصه ﷺ على توجيه أمّته لما فيه صلاحهم.

٢ - طَرْحُ الأسئلة على السامع ليتشوّق للإجابة، من وسائل التعليم النافعة.

٣ - تصحيحه ﷺ للمفاهيم.

٤ - التحذير من الظلم بأنواعه، واستحضار عاقبته.

٥ - تَجِبُ المبادرة إلى ردّ مظالم العباد قبل فوات الأوان.

---

(٢٩٦) ابن سعدي بهجة قلوب الأبرار ص(٨٥).

علق الشيخ عبد العزيز السدحان بقوله: وقد ورد ذلك بنص حديث ضعيف أخرجه الإمام أحمد، والحاكم، عن عائشة رضي الله عنها، وضعّفه الشيخ الألباني ضعيف الجامع (٣٠٢٢)، المشكاة (٥١٣٣).

الحديث السابع والعشرون

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه ركِبَ خَلْفَ رسول الله ﷺ يَوْمًا فقال له الرسول ﷺ: «يَا غُلَامُ إنّي مُعَلِّمُكَ كلمات: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تجدْهُ تجاهَكَ، إذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وإذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بالله، واعْلَمْ أنّ الأُمّةَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلّا بشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لكَ، ولَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إلّا بشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»(٢٩٧) أخرجه أحمد، والترمذي.

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الثاني عشر، ويضاف إلى ما هناك قصّته في طلبه العلم وعلوّ همّته، قال رضي الله عنه: لما قبض رسول الله ﷺ قلتُ لرجل من الأنصار: هلمّ فلنسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنّهم اليوم كثير، قال فقال: واعجبًا لك يا ابن عباس أترى الناس يفتقرون إليك وفي الناس مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ مَنْ فيهم؟ قال: فتركتُ ذلك وأقبلتُ أسأل أصحاب رسول الله ﷺ عن الحديث، فإنْ كان ليبلغني الحديث عن الرجل فآتي بابه وهو قائل، فأتوسّد ردائي على بابه تسفي الريح عليّ التراب فيخرجُ فيراني فيقول لي: يا ابن عمّ رسول الله ﷺ ما جاء بك؟ ألا أرسلتَ إليّ فآتيك؟ فأقول: لا، أنا أحقّ أن آتيك، فأسأله عن الحديث، فعاشَ ذلك الرجل الأنصاري حتى رآني وقد اجتمع الناس حولي يسألوني، فيقول: هذا الفتى كان أعقل مني(٢٩٨).

معاني الكلمات:

رُفِعَتْ الأقلام وجَفّتْ الصحف: أي أن ما كتبه الله قد انتهى.

---

(٢٩٧) أخرجه الإمام أحمد (٢٦٦٩) والترمذي (٢٥١٦) وقال: حسن صحيح، وحسّنه ابن رجب في جامع العلوم ص(١٧٤) وصحّحه أحمد شاكر، والألباني.

(٢٩٨) أخرجه ابن سعد (٢/ ٣٦٧ـ٣٦٨) والحاكم (٣/ ٦٢٠) وصححه ووافقه الذهبي.

يحفظك: أي يحفظ دينك وبدنك ومالك وأهلك.

تجاهك: أي معك يحفظك ويسدّدك.

احفظ الله: أي احفظ دينه وشرعه، بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

الشرح:

هذا الحديث يتضمّن وصايا عظيمة نافعة، قالها الرسول ﷺ لابن عباس وهي له ولكل فرد في الأمة. فقال: «احفظ الله يحفظك» احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه، فلا يراك حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، فإذا فعلتَ ذلك حفظكَ الله.

وحِفْظُ الله للعبد قسمان:

أحدهما: حِفْظُه في دنياه، فيحفظ له بدنه وماله وأهله وولده، وذلك مثل ما ذُكر عن أحد السلف[٢٩٩]. رحمهم الله. أنه قفز قفزة لا يستطيعها الشّباب، فقيل له: ما هذا يا أبا الطيّب؟ فقال: هذه أعضاؤنا حفظناها في الشبيبة فنفعَتْنا في الكِبَرِ[٣٠٠]، ولهذا كان بعضهم[٣٠١] يقول: «إني لأعصى الله فاعرفُ ذلك في خُلُقِ حماري، وخادمي، وامرأتي، وفأر بيتي».

والقِسْم الثاني وهو الأهم: حِفْظُه في دينه، فيسْلَم من الضّلال، ومن الشُّبهات والشُّهوات، ومن الفتن وغير ذلك. فالجزاء من جنس العمل. ومثله قوله تعالى:] إِن © ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ Z [محمد:٧]. وعلى الضدّ من ذلك:] نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ Z [التوبة:٦٧].

«احفظ الله تجده تجاهك» وفي رواية «تجده أمامك» ومعناهما واحد، أي أن الله يوفقك لكل خير، ويُسدّدك ويعينك.

«إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» أي اجعل تعلّقك بالخالق، لا

---

(٢٩٩) أبو الطيب الطبري (ت ٤٥٠) رحمه الله.

(٣٠٠) البداية والنهاية (١٢/ ٨٠).

(٣٠١) الفُضَيْل بن عِيَاض البداية والنهاية (١٠/ ١٩٩).

بالمخلوقين، واسأَلْ مِلكَ الملوك واطرقْ بابه، ودعْ عنك ذلّ مسْألة الناس. وكن مستعينًا بالله في كل أحوالك:] 2 3 4 5 Z [الفاتحة:٥].

«واعلم أن الأمة لو اجتمعوا . . .» «فإذا وقع منهم نفعٌ لك فاعلم أنه مِنَ الله؛ لأنّه هو الذي كتبه، فلم يقل النبي ﷺ: لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك؛ بل قال: «لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك»[٣٠٢]، وكذا في الضرّ لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. كما قال تعالى:] V W X Y Z [\ ] Z [التوبة:٥١]، فإذا علم العبد ذلك واستيقنه صار تعلّقه بالله وحده في خوفه ورجائه، وفي أموره كلها.

«رفعت الأقلام وجفّت الصحف» أي أن ما كتبه الله عز وجل قد فُرِغ منه، كما قال ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»[٣٠٣].

وقد تضمّن حديث ابن عباس هذا وصايا عظيمة نافعة، وهو من جوامع كلامه ﷺ، ولأهميته أفرد بعض العلماء رسالة في شرحه[٣٠٤].

ما يستفاد من الحديث:

١- حرصه ﷺ على توجيه أمته، وتعليمهم، حتى الغلمان منهم.

٢- أهمية حفظ حدود الله.

٣- الجزاء من جنس العمل.

٤- على المسلم أن لا يسأل ولا يستعين إلا بالله فيما لا يقدر عليه إلا هو عز وجل.

٥- التوكل على الله من أعظم ما ينبغي على المؤمن تحقيقه.

* * * * *

(٣٠٢) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (١/ ٤٩٢) طبعة مدار الوطن ١٤٢٤ هجري.

(٣٠٣) أخرجه مسلم.

(٣٠٤) نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي ﷺ لابن عباس للحافظ ابن رجب (ت٧٩٥) رحمه الله تعالى وهي مطبوعة.

الحديث الثامن والعشرون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إلَّا المُجَاهِرِينَ، وإنَّ مِنَ المجاهَرَةِ أنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيْلِ عَمَلًا، ثمَّ يُصْبِحُ وقَدْ سَتَرَهُ اللهُ فيَقُولُ: يا فُلانُ عَمِلتُ البَارِحَةَ كَذا وكَذا، وقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ ويُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ»(٣٠٥) أخرجه البخاري ومسلم.

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع عشر، والحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

معافى: من المعافاة، أي سالم.

المجاهرين: أي المعلنين بالقول أو الفعل، من جَهَر.

الشرح:

في هذا الحديث يبيّن ﷺ أن كل إنسان من أمته قد عافاه الله إلا من فعل معصية وجاهر بها، «. . وهم ينقسمون إلى قسمين:

الأول: أن يعمل المعصية وهو مجاهر بها، فيعمل بها أمام الناس، وهم ينظرون إليه. . .

الثاني: أن يعمل الإنسان العمل السيئ في الليل فيستره الله. . ولو تاب فيما بينه وبين ربّه لكان خيرًا له، ولكنه إذا قام في الصباح واختلط بالناس قال: عملتُ البارحة كذا، وعملتُ كذا، فهذا ليس معافى، هذا والعياذ بالله قد ستر الله عليه، فأصبح يفضح نفسه»(٣٠٦)، «بل من الناس من يفتخر ويفاخر بالمعصية كما يوجد من الفسقة الذين يذهبون إلى بلاد كلها فجور وخمور ثم يأتي مفتخرًا فيتحدث أنه فجر بكم امرأة، وأنه شرب كم كأسًا من الخمر فتكون السيئة عنده حسنة، ويكون مستهترًا بأحكام الله عز وجل. ومثل هذا يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل، لأن هذا

---

(٣٠٥) البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠).

(٣٠٦) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/ ١٦, ١٧).

من أعظم السخرية بدين الله عز وجل، يأتي يتبجّح بما وصفه الله بأنه فاحشة كالزنى، ويأتي يتبجح بشرب من لعن النبي ﷺ شاربه، فأين الدين؟ وأين الإيمان؟ وإذا عومل مثل هذا بما يستحق ارتدع كثير من الناس عن مثل هذه الأمور. والله المستعان»[٣٠٧]، فإذا كان من يُخبر بما فعلٍ من معاصي من المجاهرين، ولو كان المخبَر واحداً، فماذا يقال عن من ينشر ذلك على الملأ في كُتبٍ وروايات تدين صاحبها في الدنيا قبل الآخرة! ؟

قال أهل العلم: في الجهر بالمعصية استخفاف بحق الله ورسوله وبصالحي المؤمنين، وفيه ضربٌ من العناد لهم، وفي الستر بها السلامة من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تذل أهلها، ومن إقامة الحدّ عليه إن كان فيه حدّ، ومن التعزير إن لم يوجب حداً . . . [٣٠٨].

ما يستفاد من الحديث:

١- عِظَمُ ذنب من يجاهر بالمعصية.

٢- إذا بُلي الإنسان بذنب فليستتر بستر الله عليه، ويبادر بالتوبة.

٣- فِعل السَّيِّئة معصية، والجهر بها معصية أخرى.

٤- في الجهر بالمعصية استخفاف بالله عز وجل، واستثارة لمشاعر المؤمنين.

٥- المجاهرُ بالمعصية من:] ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ Z [النور:١٩].

---

(٣٠٧) ابن عثيمين شرح الأربعين النووية ص(٢٦٩، ٢٧٠).

(٣٠٨) عزاه في فتح الباري إلى ابن بطال (١٠/ ٤٨٧).

الحديث التاسع والعشرون

عن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قال: كُنْتُ غُلَامًا في حَجْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ تعَالى، وكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ» فما زالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم(٣٠٩).

راوي الحديث:

عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد القرشي المخزومي. وُلد قبل الهجرة بسنتين أو أكثر، ولما تُوفِّيَ أبوه رضي الله عنه تزوج رسول الله ﷺ بأمّه أمّ سلمة رضي الله عنها. فكان ربيب النبي ﷺ. تولى إمارة البحرين زمن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. ومات بالمدينة سنة ٨٣، في خلافة عبد الملك ابن مروان.

معاني الكلمات:

حَجْر: الحجر هو الحضن، أي في تربيته وتحت نظره.

تطيش: تدور يمينًا وشمالًا، ولا تقتصر على موضع واحد.

الصحفة: الإناء.

الغلام: هو الصبي من ولادته إلى بلوغه الحلم.

الشرح:

الإسلام دين متكامل، شامل لكل جوانب الحياة. وهنا يوجه الرسول ﷺ ربيبه عمر بن أبي سلمة إلى بعض آداب الأكل، وذلك بأسلوب هيّن ليّن، وبعبارات مختصرة، وذكر له ﷺ ثلاثة من آداب الأكل أولها: «سمّ الله» أي عند ابتداء الأكل قل: بسم الله، ولو زاد: الرحمن الرحيم، فلا حرج. وذلك حتى يُبارك له في طعامه، ولا يشاركه الشيطان فيه، كما في الحديث «إذا دخل

---

(٣٠٩) البخاري رقم(٥٣٧٦) ومسلم رقم(٢٠٢٢).

الرجل بيته فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء . . »[٣١٠]، وقوله ﷺ: «إن الشيطان يستحل الطعام أَلّا يُذكر اسم الله تعالى عليه»[٣١١] «والتسمية على الأكل واجبة إذا تركها الإنسان [عمدًا] فإنه يأثم، ويشاركه الشيطان في أكله . . »[٣١٢] «فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوّله فليقل: بسم الله أوّله وآخره»[٣١٣] كما أرشد إلى ذلك الرسول ﷺ .

«وكُل بيمينك» «وهذا أمر على سبيل الوجوب، فيجب على الإنسان أن يأكل بيمينه، وأن يشرب بيمينه . . والأكل بالشمال أو الشرب بالشمال حرام . . ومع كونه من هدي الشيطان فهو أيضًا من هدي الكفار . . ثم إنّ بعض الناس إذا كان على الأكل وأراد أن يشرب فإنه يُمسك الكأس باليسار ويشرب، ويقول: أخشى أن تتلوّث الكأس إذا شربتُ باليمين، فنقول: لتتلوّث، فإنها إذا تلوثت فإنما تتلوث بالطعام، ولم تتلوث ببول ولا غائط . تلوثت بطعام ثم تغسل . . ولا عذر لأحد بالشرب بالشمال من أجل هذا؛ لأن المسألة على سبيل التحريم، والحرام لا يجوز إلا عند الضرورة، والضرورة مثل أن تكون اليد اليمنى شلاّء، لا يمكن أن يرفعها إلى فيه . . »[٣١٤]، «ويدل على وجوب الأكل باليمين ورود الوعيد في الأكل بالشمال، ففي صحيح مسلم من حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلًا يأكل بشماله فقال: «كل بيمينك» قال: لا أستطيع . قال: «لا استطعت، [ما مَنَعَه إلّا الكِبْر][٣١٥] فما رفعها إلى فيه»[٣١٦] .

---

(٣١٠) أخرجه مسلم رقم(٢٠١٨).

(٣١١) أخرجه مسلم رقم(٢٠١٧).

(٣١٢) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٧/١٩٦) الطبعة الأولى ١٤١٦ للهجرة.

(٣١٣) أخرجه أبو داود (٣٧٦٧) والترمذي (١٨٥٨).

(٣١٤) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/١٩٧ ـ ١٩٨).

(٣١٥) ما بين المعقوفتين سقطت من الفتح وهي في مسلم.

«وكُلْ مِمّا يليك» أي إذا كنت تأكل مع غيرك فلا تتجاوز جهتك، لأنّ في هذا سوء أدب وتعدّ على حق الآخرين، وهذا إذا كان الطعام من نوع واحد، أما إذا اختلفت الأصناف فلا بأس. قال عمر بن أبي سلمة ﷺ: «فما زالت تلك طِعمتي بعد» أي أنه استجاب لما أُمر به وأُرشد إليه.

ما يستفاد من الحديث:

١- توجيه الأولاد وإرشادهم.

٢- حُسن خلُقه ﷺ ورفقه في التعليم، فعلينا التأسي به.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى حال الأكل.

٤- وجوب التسمية عند الأكل، والشّرب.

٥- وجوب الأكل والشرب باليمين.

٦- سُرعة امتثال الصحابة ﷺ للأوامر الشرعية، والمداومة عليها.

* * * * *

(٣١٦) فتح الباري (١٠/ ٥٢٢).

الحديث الثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْخُلُونَ الجَنّةَ حتى تُؤمِنُوا، ولَا تُؤمِنُوا حَتّى تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُمْ عَلى شَيْءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلامَ بَيْنَكُم» أخرجه مسلم(٣١٧).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع عشر، وفي الحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

أفشوا: أظهروا وانشروا.

الشرح:

يخبرنا الرسول ﷺ أننا لن ندخل الجنة حتى نؤمن بالله، وأننا لن نحقق الإيمان الكامل حتى نتحابّ فيما بيننا، ثم أرشدنا - وهو المعلم الأول ﷺ - إلى أمر إذا فعلناه حصل التحابُّ بيننا، ألا وهو: إفشاء السّلام، والسلام هو تحية أهل الجنة:] ! " # $ Z [الأحزاب:٤٤]، وهو التحيّة التي ارتضاها الله لعباده المؤمنين: «خَلَقَ اللهُ آدم على صورته، طوله ستون ذراعًا، فلما خلقه قال: اذهب فسلّم على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يحيّونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»(٣١٨). وهو من شرائع الإسلام العظيمة، سأل رجل رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلام خير؟ قال: «تُطعم الطعام، وتَقْرَأ السلام على من عرفتَ ومن لم تعرف»(٣١٩)، وقد أخبر

---

(٣١٧) رقم (٥٤).

(٣١٨) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ومسلم (٢٨٤١).

(٣١٩) أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩).

ﷺ«إنّ مِنْ أشراط الساعة أن يُسلّم الرجل على الرجل، لا يُسلّم عليه إلا للمعرفة»[٣٢٠].

وأرشدنا ﷺ من يبدأ بالسلام «يُسلّم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير» متفق عليه[٣٢١]، وفي رواية للبخاري: «والصغير على الكبير» قال الإمام النووي. رحمه الله. «والسلام أول أسباب التآلف ومفتاح استجلاب المودة، وفي إفشائه تمكّن ألفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم المميز لهم من غيرهم من أهل الملل، مع ما فيه من رياضة النفس، ولزوم التواضع، وإعظام حرمات المسلمين»[٣٢٢].

ما يستفاد من الحديث:

١- الإيمان سبب في دخول الجنة.

٢- لا يتحقق الإيمان الكامل إلا بالتحابّ بين المؤمنين.

٣- إفشاء السلام سبب في تحقق المحبّة بين المؤمنين.

٤- عناية الشرع المطهّر بما يؤلف بين قلوب أفراده.

* * * * *

(٣٢٠) أخرجه أحمد وصحّحه أحمد شاكر (٥/٣٢٦) رقم(٣٨٤٨).

(٣٢١) البخاري (٦٢٣٢) ومسلم (٢١٦٠).

(٣٢٢) شرح مسلم (٢/٣٦).

الحديث الحادي والثلاثون

عن جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فعُمِلَ بها بَعْدَهُ، كُتِبَ له مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بها، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، ومَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فعُمِلَ بها بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بها، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ» أخرجه مسلم(٣٢٣).

راوي الحديث:

جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، قدم المدينة النبوية مُسْلِمًا عام الوفود سنة تسع، ولما دخل المسجد رماه الناس بأبصارهم، فسألهم: هل ذكرني رسول الله ﷺ؟ قالوا: نعم، ذكرك بأحسن ذِكْر فقال: «يدخل عليكم رجل من خَيْرِ ذي يَمَن، على وجهه مَسْحَة مَلِكٍ»(٣٢٤).

كان جميلاً؛ ولذا كان عمر الفاروق ينعته بـ: يوسف هذه الأمة. وكان يقول: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت، ولا رآني إلا ضحك»(٣٢٥). أرسله رسول الله ﷺ إلى صنم ذي الخلصة ليهدمه، فشكا أنه لا يثبت على الخيل، قال: فضرب رسول الله ﷺ يده في صدري وقال: «اللهم ثبّته، واجعله هاديًا مهديًا»(٣٢٦). توفي ﷺ سنة ١٥ هـ وقيل بعدها.

معاني الكلمات:

سنّ: ابتدأ أمرًا، بقوله أو فعله.

وِزْر: إثم.

---

(٣٢٣) رقم (٢٦٧٤).

(٣٢٤) أخرجه الإمام أحمد الفتح الرباني (٢٢/٢١١).

(٣٢٥) أخرجه البخاري (٣٨٢٢) ومسلم (٢٤٧٥) وفي رواية لهما: إلا تبسّم في وجهي».

(٣٢٦) أخرجه البخاري (٣٠٢٠) ومسلم (٦٣٦٦).

الشرح:

يبيّن ﷺ في الحديث أهمية الدلالة على أمر الخير، وأجْر من سنّ ذلك، والتحذير من الدعوة إلى أمور الشر. قال النووي. رحمه الله تعالى.: «سواء كان ذلك الهدى والضلالة هو الذي ابتدأه أم كان مسبوقا إليه، وسواء كان ذلك تعليم علم، أو عبادة، أو أدب، أو غير ذلك»[٣٢٧]، وسبب الحديث: أن قومًا فقراء جاءوا رسول الله ﷺ فتأثّر لمّا رآهم، فخطب في أصحابه يدعوهم إلى الصدقة «فجاء رجل من الأنصار بصّرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، ثم تتابع الناس. .» حتى سُرّ رسول الله ﷺ بذلك وتهلّل وجهه، فقال: «من سنّ. .» الحديث، وليس المراد أن يبتدع الإنسان في دين الله، وإنما أن يجدّد سُنَّةً مِنْ سُنن الإسلام، كنشر العلم الشرعي في منطقة يغلب الجهل على أهلها، وكذا إيجاد حِلَق لتحفيظ القرآن عند من تخلو أحياؤهم أو ديارهم، ومثلها الدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم، وغير ذلك من السنن التي لها أصل في الشرع.

فكم من الأجور العظيمة في ميزان من سن سنة حسنة دون أن ينقص ذلك من أجر العالمين، وهذا من فضل الله العظيم.

وبضدّ ذلك من سنّ سنة سيئة، فعليه إثمها وإثم كل من اتبعها دون أن ينقص ذلك من آثامهم. فليحذر المرء أن يكون من دعاة الضلالة بقوله أو بفعله، وممن يسنّون سنة سيئة. وكم من صاحب بدعة وهوى، وفسق وفجور استنّ ودعا إلى سنة سيئة فباء بوزرها، وبوزر من أجابه إليها:] لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ¶ μ ´ ۙ ٱلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ Z [النحل:٢٥].

ما يستفاد من الحديث:

١ - الحثّ على المبادرة إلى الخيرات، والدعوة إليها.

---

(٣٢٧) شرح مسلم (١٦/ ٢٢٧).

٢ - التحذير من سنّ السنن السيئة أو الدعوة إليها .

٣ - عِظَمُ أجر من سن سنة حسنة .

٤ - عِظَمُ جُرم وإثم من سنّ سنة سيئة .

٥ - سعة فضل الله عزّ وجل، وكمال عدله .

* * * * *

الحديث الثاني والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنّ الدّينَ يُسرٌ، ولَنْ يُشَادَّ الدّينَ [أحَدٌ] إلّا غَلَبَهُ» أخرجه البخاري(٣٢٨).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع عشر، والحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

يشادّ: يغالب.

الشرح:

يبين رسول الله ﷺ في هذا الحديث أن «الدين يسر» أي دين الإسلام، كما قال تعالى:] يُرِيدُ ٱللَّهُ © ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ Z [البقرة:١٨٥]، فهو دين «ميسّر مسهّل في عقائده وأخلاقه، وأعماله، وفي أفعاله وتروكه..»(٣٢٩).

قال ابن حجر: «والمعنى لا يتعمّق أحدٌ في الأعمال الدينية ويترك الرّفق إلا عجز وانقطع فيُغلَب. قال ابن المنيّر: في هذا الحديث عَلَم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أنّ كل متنطّعٍ في الدّين ينقطع..»(٣٣٠)، وقد أخبر الرسول ﷺ بعاقبة التنطّع بقوله «هلكَ المتنطعون» قالها ثلاثا(٣٣١)، ودعا إلى التيسير، ولمّا بعث معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للدعوة

---

(٣٢٨) برقم (٣٩).

(٣٢٩) بهجة قلوب الأبرار ص(١٢٥).

(٣٣٠) فتح الباري (١/ ٩٤) وتأمّل حولك تجد هذا الأمر حقيقة واقعة.

(٣٣١) أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

قال لهما: «يسّرا ولا تعسرا، وبشّرا ولا تنفّرا»[٣٣٢].

ومن القواعد الفقهية المعروفة: «المشقّة تجلب التيسير». والناس مع أوامر الشرع ثلاثة أصناف: إفراط وتفريط ووسط، وخير الأمور الوسط، وهو هدي أورع الناس واتقاهم رسول الله ﷺ، أعلم الناس بالله وأخشاهم له.

ومن تورّع من شيء فلا حرج عليه، لكنه لا يحرّمه على غيره، ولا ينكره عليه دون دليل شرعي، وعليه ألّا يضيقَ بالرأي المخالف له، ما دامت له أدلّته الشرعية، وهذا من سماحة هذا الدين. جاء رجل إلى الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ وقال: صنّفتُ كتابًا سميته: كتاب الاختلاف، فقال الإمام أحمد: سمّه: كتاب السَّعَة[٣٣٣].

ولذا كان هذا الإمام يُعلّم أصحابه أن لا يضيّقوا واسعًا، وكان يقول لهم: لو أن رجلًا لم يرَ الوضوء من الدّمِ ثم صلّى، ألم تكن تُصلّي خلفه؟ أفلا نصلي خلف سعيد بن المسيب، ومالك ممّن سهّل الوضوء من الدم؟ قال: بلى نصلي. وكذا لو أن رجلًا لم يرَ المسح على الخفين، فقد كان مالكٌ لا يرى المسح على الخفّين في الحَضَر، لا ينبغي أن يُصلى خلفه؟ قال: بلى[٣٣٤].

ولا يعني أن الدين يسر أن يتّبع الإنسان الرُّخَص. فكما قال أهل العلم: مَنْ تتبّعَ الرخص تَزَنْدَق.

وقال بعضهم: إذا أخذتَ برخصة كلّ عالم اجتمع فيك الشرّ كلّه.

ما يستفاد من الحديث:

١- سماحة دين الإسلام ويُسر أحكامه.

---

(٣٣٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٨) ومسلم (١٧٣٣).

(٣٣٣) طبقات الحنابلة (١/ ١١١).

(٣٣٤) التمهيد (١١/ ١٣٩) بتصرف.

٢- من غالب الدين وشدّد على نفسه غُلب.

٣- من ترك شيئًا تورّعًا فلا يحرّمه على غيره.

* * * * *

الحديث الثالث والثلاثون

عن أمِّ المؤمنين عائشة ل عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إلّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إلّا شَانَهُ» أخرجه مسلم(٣٣٥).

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمتها ﵂ في الحديث الثالث، ويضاف إليها: ما أخرجه الشيخان عن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل عائشة على النّساء كفضل الثّريد على سائر الطعام»(٣٣٦)، وقال لها: «إنّ جبريل يُقرئك السلام»(٣٣٧)، وتوفيّ رسول الله ﷺ وهو مستند إلى صدرها في بيتها، وفي يومها.

معاني الكلمات:

زَانَه: حسّنه. شَانه: عَابَه.

الشرح:

جاء الإسلام بالحثّ على الرّفق والترغيب فيه، والنهي عن ضدّه، والتحذير منه. وبيّن ﷺ «أنّ من يُحرَم الرّفق يُحرِم الخير»(٣٣٨)، وأنّ الله «يُعطي على الرّفق ما لا يُعطي على العنف»(٣٣٩). قال الله عزّ وجل في وصف نبيه ﷺ:] 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [آل عمران:١٥٩]، والإنسان يحتاج إلى الرفق في كل أحواله، في معاملة مع أهله، ومع إخوانه وأصدقائه، ومع الناس أجمعين.

---

(٣٣٥) رقم (٢٥٩٤).

(٣٣٦) البخاري (٣٧٦٩) مسلم (٢٤٤٦).

(٣٣٧) البخاري (٣٧٦٨)، مسلم (٢٤٤٧).

(٣٣٨) مسلم (٢٥٩٢).

(٣٣٩) مسلم (٢٥٩٣).

وهو مهم جدًا للداعية إلى الله، ومن أهم عوامل نجاحه.

ولهذا فإن الإنسان إذا عامل الناس بالرّفق يجد لذّةً وانشراحًا، وإذا عاملهم بالشّدّة والعنف ندم، ثم قال: ليتني لم أفعل، لكن بعد فوات الأوان أما إذا عاملهم بالرفق واللين والأناة انشرح صدره، ولم يندم على شيء فعله.

ما يستفاد من الحديث:

١- الحثّ على الرفق، وهو من الخصال التي يحبّها الله.

٢- كلّ عمل يخلو من الرفق فإنه مُعاب.

٣- التحذير من العنف، والنهي عنه.

* * * * *

الحديث الرابع والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُ اللهُ بِها دَرَجَاتٍ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لا يُلْقِي لها بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» أخرجه البخاري(٣٤٠).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع عشر، والحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

لا يلقي لها بالًا: لا يهتمّ بها، ولا يفكّر في عاقبتها. يهوي: ينزل.

الشرح:

أرشد الحديث إلى أهمية حفظ اللسان، وأن المرء محاسب على ما يقول:] : ; > = < Z A @ ? > [ق:١٨]. بل بيّن ﷺ أن حفظ اللّسان من أسباب دخول الجنة: «من يضمن لي ما بين لَحييه وما بين رِجْليه أضمن له الجنة»(٣٤١).

«إنّ العبد ليتكلم بالكلمة» وليس المراد كلمة واحدة، وإنّما: «الكلام المشتمل على ما يُفْهِمُ الخير أو الشرّ سواء طال أو قصر، كما يقال: كلمة الشهادة..»(٣٤٢). «لا يُلقي لها بالًا»، أي: «لا يتأمّلها بخاطره، ولا يتفكر في عاقبتها ولا يظن أنها تؤثّر شيئًا، وهو من نحو قوله تعالى:] z y { | } ~ Z [النور:١٥].

---

(٣٤٠) رقم (٦٤٧٨).

(٣٤١) البخاري (٦٤٧٤).

(٣٤٢) فتح الباري (١١/ ٣١٠).

«يهوي» قال عِيَاض: المعنى ينزل فيها ساقطاً[٣٤٣]. «قال ابن عبد البرّ: الكلمة التي يهوي صاحبها بسببها في النار هي التي يقولها عند السلطان الجائر، وزاد ابن بطّال: بالبغي أو بالسعي على المسلم فتكون سببًا لهلاكه، وإن لم يُردْ القائل ذلك، لكنها ربّما أدّت إلى ذلك فيكتب على القائل إثمها. والكلمة التي ترفع بها الدرجات ويُكتب بها الرضوان هي التي يدفع بها عند المسلم مظلمة أو يفرّج بها عنه كربة، أو ينصر بها مظلومًا.

وقال غيره في الأُولى: هي الكلمة عند ذي السلطان يرضيه بها فيما يُسخط الله. قال ابن التِّين: هذا هو الغالب، وربّما كانت عند غير ذي السلطان ممن يتأتّى منه ذلك»[٣٤٤].

وقد عُني السلف -رحمهم الله- بحفظ اللسان، وكثرت ألفاظهم في ذلك، قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما على الأرض شيءٌ أحوج إلى طول سجن من لسان»[٣٤٥].

وقال مَعْروف الكَرْخي: «كلامُ العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله»[٣٤٦]، وقال حاتم لو أنّ صاحب خبر جلس إليك ليكتبَ كلامك لاحترزتَ منه، وكلامك يُعرض على الله فلا تحترز[٣٤٧]! ولما رَوى علقمة ابن وقّاص حديث بلال بن الحارث رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنّ الرَّجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله.. وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله..» كان يقول: كَمْ من كلام مَنَعنيه حديث بلال بن الحارث[٣٤٨]!.

أَلَا فليتذكّر كل واحد منّا أنه سيحاسب عند كل قول قاله، إن خيرًا فخير وإن شرًا، وليتذكر كل كاتب أنه محاسب على ما يكتب، فليتقّ الله كتّاب الصحف، والمجلات، والمواقع

---

(٣٤٣) فتح الباري (١١/ ٣١١).

(٣٤٤) فتح الباري (١١/ ٣١١).

(٣٤٥) أخرجه ابن المبارك رقم(٣٨٤).

(٣٤٦) تاريخ الإسلام (١٩١/ ٤٠٣).

(٣٤٧) تاريخ بغداد (٨/ ٢٣٧).

(٣٤٨) الصمت وآداب اللسان رقم(٧٠).

الالكترونيّة فيما يسطرونه في زواياهم ومقالاتهم، والمتحدثون في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة فيما يلفظونه في برامجهم وحواراتهم:] : ; < = > ? @ A Z [ق:١٨].

ما يستفاد من الحديث:

١- أنّ العبد مُحاسبٌ على كل لفظ يقوله.

٢- الحرص على رضوان الله، والحذر من سخطه.

٣- قد يرتقي المرء درجات الجنة، وقد يهوي في مدارك النار بكلام يقوله.

٤- العاقل من يتوقّى عثراتَ لسانه، أشدّ من توقيّه عثرات قدمه.

* * * * *

الحديث الخامس والثلاثون

عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ» أخرجه أحمد وأبو داود(٣٤٩).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الثاني، والحديث السادس.

شرح الحديث:

من مقاصد الشريعة أن يتميّز المسْلم عن غيره، فلا يتشبّه بغير المسلمين، لأنّ له شخصيته المستقلّة، فهو معتزٌّ بدِينه، لا يشعر بالهوان ولا المذلّة،] } | { ~ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ Z [آل عمران:١٣٩]. والتشبّه بالغير يكون سببه الإعجاب، ويُورث غالبًا المحبة.

والتشبه على قسمين:

الأول: مندوب إليه مثل: التشبّه بأهل الفضل والصلاح، قال الله عزّ وجلّ بعد أن ذَكَرَ بعضَ أنبيائه:] أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ Z [الأنعام:٩٠]. والنظر في سِيَرِ الأنبياء والعلماء وأخبارهم مِمّا يُرغّب فيه؛ للتأسّي بهم:

وتَشَبَّهُوا إِنْ لَمْ تَكُونُوا مِثْلَهُمْ ... إِنَّ التَشَبُّهَ بِالكِرَامِ فَلَاحُ

القسم الآخر: مَنْهيٌّ عنه، مثل: التشبّه بالكافرين والفاسقين، قال الإمام ابن تيمية عن

---

(٣٤٩) المسند (٥١١٤) سنن أبي داود (٤٠٣١)وصحّحه الأئمة: ابن تيمية، الفتاوى (٣٣١/٢٥) واقتضاء الصراط المستقيم (٢٤٠/١) والعراقي تخريج الإحياء رقم(٧٩٧) وابن حجر الفتح (٢٧١/١٠, ٢٧٤) وأحمد شاكر وابن باز فتاواه (٢١/١٢) والألباني صحيح الجامع (٦٠٢٥).

الحديث: «وهذا الحديث أقلّ أحواله أن يقتضي تحريم التشبّه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كُفْرَ المتشبّه بهم»[٣٥٠] وقال ـ رحمه الله ـ: «المشابهة في الظاهر تورث نوعَ مودّةٍ ومحبةٍ، وموالاةٍ في الباطن، كما أن المحبّة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر، وهذا أمر يَشْهَد به الحسُّ والتجربة..»[٣٥١].

ومن التشبّه المحرّم: تشبه الرجال بالنساء والعكس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال»[٣٥٢] قال ابن تيمية: «والرجل المتشبّه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبّهه.. ولما كان الغِنَاءُ مقدمة ذلك، وكان من عمل النّساء كانوا يُسمُّون الرجال المغنين مخانيث، والمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم، حتى يصير فيها من التبرّج والبروز ومشاركة الرجال، ما قد يفضي ببعضهن إلى أن تُظْهِرَ بدنها كما يُظهِرُه الرَّجل..»[٣٥٣].

وإنّك لتعجَبُ مِنْ رجل يلبس لِبْسَة المرأة، ثم يخرج ـ بعد أن يزيل كلّ شعرة من وجهه، ووضع المساحيق ـ على الملأ في الأفلام والمسلسلات والمسرحيات، وما عَلِمَ هذا المنكُوسُ والمصفقونَ له أنّه مَلعُونٌ على لسان الصادقِ المصدوقِ ﷺ.

ومن التشبّهِ المذموم: التشبّه بالبهائم. وقد ذكر الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ ستّة أوجه في منع ذلك[٣٥٤]. لكنْ قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «.. فإنْ كان المقصود بذلك

---

(٣٥٠) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٢٤١) وعنوان الكتاب مُفصح عن مضمونه.

(٣٥١) السابق (١/ ٤٨٨).

(٣٥٢) أخرجه البخاري (٥٨٨٥).

(٣٥٣) الفتاوى (٢٢/ ١٥٤).

(٣٥٤) الفتاوى (٣٢/ ٢٥٦ ـ ٢٦٠).

التشبّه بالحيوانات. التعليم، أوْ مجرّد اللعب معهم (الأطفال) فإنّه لا يُعدُّ متشبّهًا بالحيوان؛ لأنّه لم يقصد»[٣٥٥].

ما يستفاد من الحديث:

١- التشبّه بالكافرين محرّم، وقد يصل إلى درجة الكفر.

٢- على المسْلِم أنْ يعتزّ بدِينه.

٣- مَنْ أحَبَّ قومًا حُشِر معهم.

* * * * *

(٣٥٥) شرح بلوغ المرام (٦٥/٣).

الحديث السادس والثلاثون

عن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلوبَنا عَلى طاعَتِكَ» أخرجه مسلم(٣٥٦).

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمتُه رضي الله عنه في الحديث الثالث عشر.

معاني الكلمات:

مصرّف: مغيّر.

الشرح:

يوجّه ﷺ إلى أهميّة الدّعاء في أن يُصرّف الله عزّ وجل قلبَ العبد على طاعته سبحانه، وقد أخرج الترمذي عن أمِّ المؤمنين أمّ سلمة رضي الله عنها أنها قالت: كان أكثر دعائه ﷺ: «يا مقلّبَ القلوب ثبّتْ قلبي على دِينك»(٣٥٧)، فإذا كان هذا حال سيّد ولد آدم، وقد غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر، فكيف يكون حال غيره؟ فحريٌّ بالمسلم أن يداوم على الدّعاء بأن يُصرّف الله قلبه على طاعته. ويزداد تأكّد ذلك زمن الفتن: «بادِروا بالأعمال الصالحة فستكون فتنٌ كقِطَعِ اللّيل المظلم يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيعُ دِينَه بعَرَضٍ من الدنيا»(٣٥٨).

وقد أدرك السلف ـ رحمهم الله ـ ذلك، فهذا نوف البكَالي (مات بين التسعين والمئة هـ) رحمه الله يقول ـ وقد ذُكر الدّجال ـ: إنّي لغيرِ الدَّجّال أخوف منّي من الدجال، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

---

(٣٥٦) برقم (٢٦٥٤) كتاب القدر.

(٣٥٧) الترمذي رقم(٣٥٢٢) وفي سَنَهُ مزُ بن حَوشَب وله شواهد.

(٣٥٨) أخرجه مسلم برقم(١١٨).

وما هو؟ قال: أخاف أن أُسلبَ إيماني وأنا لا أشعر، فقال أبو الدرداء: . . . والذي نفسي بيده ما أَمِنَ عبدٌ على إيمانه إلا سُلِبَه[٣٥٩]، وكان سفيانُ الثوريّ (١٦١هـ) رحمه الله يبْكي ويقول: إني أخاف أن أُسلبَ الإيمان قبل أن أموت[٣٦٠]،ولذا كان من دعاء عباده المؤمنين:] رَبَّنَا لَا تُزِغْ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا Z [آل عمران:٨].

ما يستفاد من الحديث:

١- أهميّة الدعاء في حياة المسلم.

٢- الحذر من تقلّب القلب على غير طاعة الله، وتعاهد ذلك.

٣- الحذر من العُجب.

تنبيه:

زيادة: (والأبصار)، لا أصل لها في الحديث.

* * * * *

(٣٥٩) سير أعلام النبلاء (٢/ ٣٥٢).

(٣٦٠) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٨).

الحديث السابع والثلاثون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله واليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله واليَوْمِ والآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، ومَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُل خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ» متفقٌ عليه[٣٦١].

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمته في الحديث الرابع عشر، وفي الحديث السادس عشر.

الشرح:

الإسلام دينٌ شاملٌ لكلّ جوانب الحياة، يدعو إلى مكارم الأخلاق، ما من خير إلا أَمَرَ به، وما من شرّ إلا نهى عنه. وفي هذا الحديث النهي الشديد عن أذيّة الجار «سواء كان ذلك بالقول أو الفعل، أما بالقول فان يسمع منه ما يزعجه ويقلقه، كالذين يفتحون الراديو أو التلفزيون أو غيرها مما يُسمع فيزعج الجيران، فإن هذا لا يحلّ له، حتى لو فتحه على كتاب الله وهو مما يزعج الجيران بصوته فإنه معتدٍ عليهم، ولا يحلّ له أن يفعل ذلك[٣٦٢]، وأما بالفعل فيكون بإلقاء الكناسة حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه، أو بالدقّ، أو ما أشبه ذلك مما يضرّه، ومن هذا أيضاً إذا كان له نخلة أو شجرة حول جدار جاره فكان يسقيها حتى يؤذي جاره بهذا السقي، فإن ذلك من بوائق[٣٦٣] الجار فلا يحلّ له»[٣٦٤].

وقد أمر الله عز وجلّ بالإحسان إلى الجار. [t u v w x Z [النساء:٣٦]، وأمر بذلك الرسول ﷺ، كما في أحاديث كثيرة، من أعظمها: «ما زال

---

(٣٦١) البخاري (٦٠١٨) مسلم (٧٥).

(٣٦٢) فكيف لو كان صوت غناء وموسيقى؟.

(٣٦٣) البوائق: قال النووي: هي الغوائل والشرور.

(٣٦٤) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/ ٢٠٦) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

جبريل يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورّثه»[٣٦٥].

قال أهل العلم: والجيران ثلاثة: جار قريب مسلم، فله حِق الجوار والقرابة والإسلام. وجار مسلم غيرِ قريب، فله حق الجوار والإسلام. وجار كافر، فله حق الجوار، وإن كان قريبًا فله حق القرابة أيضا[٣٦٦]، وأدرك السلف رحمهم الله تعالى عِظَمَ حقّ الجار، فكانت الدار يزيد ثمنها أو يقل بحسب الجار. جاء في ترجمة أبي حمزة السُّكري (ت١٦٧هـ) أن جارًا له أراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة. فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجّه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك[٣٦٧].

وأراد أحد جيران سعيد بن العاص أن يبيع داره فقال: بكمْ تشترون مني جوار سعيد؟.. فبلغ ذلك سعيدًا فوجّه إليه مئة ألف درهم، وقال له: أمسكْ عليك دارك[٣٦٨]، حتى الجار الكافر كانوا يعرفون حقّه، فجاء عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «أنه ذُبحت له شاة، فلما جاء قال: أهديتمْ لجارنا اليهودي؟ أهديتمْ لجارنا اليهودي؟»[٣٦٩].

وقوله: «فليكرم ضيفه» وإكرام الضيف من خصال العرب المحمودة في الجاهلية، وجاء الإسلام بتعزيزها والحثّ عليها، بل جعلها من مكملات الإيمان. وإكرام الضيف واجب على

---

(٣٦٥) البخاري (٦٠١٤) مسلم (٦٦٨٧) [٢٦٢٥].

(٣٦٦) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/ ٢٠٥).

علق الشيخ عبد العزيز السدحان بقوله: «وقد ورد في ذلك حديث ضعيف أخرجه البزار، وأبو الشيخ، وأبو نُعيم، عن جابر. ضعيف الجامع (٢٦٧٤)، السلسلة الضعيفة (٣٤٩٣).

(٣٦٧) سير أعلام النبلاء (٧/ ٨٧٩) وأبو حمزة السكري لحلاوة كلامه واسمه محمد بن ميمون.

(٣٦٨) المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي. دار صادر (١٤١٢).

(٣٦٩) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وصحّحه الألباني رقم(٧٨) وأخرجه أبوداود (٥١٥٢) والترمذي (١٩٤٣).

الصحيح[٣٧٠]، وكانت الشعراء. وما زالت. تتغنى بالأجواد، وتخلّد ذكرهم في التاريخ بأبيات الشّعْر.

فالنـــاس أكْـــيس مِـــنْ أن يمـــدحوا رجلًـــا مـــنْ غَـــيْرِ أنْ يَجِـــدُوا آثَـــارَ إحْسَـــانِ

وقوله ﷺ: «. . فليقل خيرًا أو ليصمت» سبق الكلام على آفات اللسان، وأهمية حفظه[٣٧١].

ما يستفاد من الحديث:

١- عناية الإسلام بتنظيم علاقة المسلم بالآخرين.

٢- التحذير من أذيّة الجار والإساءة إليه، وأن ذلك ينافي كمال الإيمان.

٣- الحثّ على إكرام الضيف.

٤- الترغيب في السكوت إذا كان الكلام لا خير فيه.

* * * * *

(٣٧٠) الفتاوى (٢٨/ ٢٣٠).

(٣٧١) في التعليق على الحديث الرابع والثلاثين «إن العبد ليتكلم بالكلمة».

الحديث الثامن والثلاثون

عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «مَا يُصِيبُ المسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» أخرجه البخاري واللفظ له. ومسلم(٣٧٢).

راوي الحديث:

أبو سعيد رضي الله عنه سبقتْ ترجمته في الحديث الثالث والعشرين. وأبو هريرة سبقتْ ترجمته في الحديث الرابع عشر، وزيادة عليها في الحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

نصب: تعب. وصب: مرض. غمّ: ما يضيق على القلب.

الشرح:

الإنسان بطبعه مخلوق ضعيف، تصيبه الأدواء والأسقام، والأحزان والهموم والغموم. فإن كان مسلمًا وصبر واحتسب ذلك عند الله كان على خير، وإن جزع وسخط فله السخط. وأشد الناس بلاءً هم الأنبياء. على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. وأخبر ﷺ أنه: «ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه، إلا حطّ الله به سيئاته، كما تحطّ الشجرة ورقها»(٣٧٣). وقال: «من يُرد الله به خيرًا يُصب منه»(٣٧٤).

---

(٣٧٢) البخاري (٥٦٤١) ومسلم (٢٥٧٣).

(٣٧٣) البخاري (٥٦٤٨) مسلم (٢٥٧١) واللفظ له.

(٣٧٤) البخاري (٥٦٤٥) ويصب بكسر الصاد عند الأكثر وقيل بفتحها.

وقد بيّن الله جلّ وعلا الموقف المشروع للمسلم عند حلول مصيبة به:] < ? @ A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [البقرة:١٥٦-١٥٧].

فالمصائب تكون على وجهين: إذا صبر واحتسب كُفّر من سيئاته وزيد في حسناته. وتارة يغفل عن هذا ويصيبه ضجر وضيق صدر فيكون في ذلك تكفير لسيئاته دون زيادة درجاته[٣٧٥].

فعلى من يُصَبْ بشيءٍ من البلاء أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى، ويعلمَ أنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

ما يستفاد من الحديث:

١- المصائب والأمراض التي تصيب المسلم خير له، فهي مكفّرةٌ لخطاياه.

٢- أنّ المصائب تكفّر بعض الخطايا والذنوب، لأنّ بعضها يحتاج إلى توبة.

٣- أَمْرُ المؤمن كله خير إن أصابته سرّاء شكر، وإن أصابته ضرّاء صبر، وليس ذلك لأحدٍ إلاّ للمؤمن[٣٧٦].

* * * * *

(٣٧٥) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (١ / ٢٤٤) طبعة ١٤٢٤هـ بتصرف واختصار.

(٣٧٦) أخرجه مسلم عن صهيب (٢٩٩٩).

الحديث التاسع والثلاثون

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي النبي ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ» أخرجه مسلم(٣٧٧).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الخامس عشر.

معاني الكلمات:

لا تحقرنّ: لا تستهن ولا تستقلّ. طلق: سهل منبسط.

الشرح:

يرشد ﷺ المسلمَ أن لا يحتقر شيئًا من الأعمال، وإن كان العمل لا يشق على صاحبه، ومن ذلك أن يلقى أخاه المسلم بوجه منبسط مسرور، فهو مما يثاب عليه، ولا يكلّفه شيئًا. وهو مما يُدخل السرور على أخيه المسلم. وكان هذا هو هديه ﷺ، قال جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: «ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمتُ، ولا رآني إلا تبسّم في وجهي»(٣٧٨)، وقد وصفه الله تبارك وتعالى بقوله:] 0 1 2 3 4 5 6 7 Z [آل عمران:١٥٩].

فمن يلقى إخوانه بوجه عبوس، وجبين مقطّب، مخالف للهدي النبوي، قد حرم نفسه من الأجر، ومن الاقتداء بسيد البشر.

قال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: «هذا هو خُلُق الإسلام فأعلى المقامات من كان بكّاء بالليل بسّامًا بالنهار. . . [و] ينبغي لمن كان ضحوكًا بسّامًا أن يقصّر من ذلك ويلوم نفسه حتى لا

(٣٧٧) مسلم برقم (٢٦٢٦).

(٣٧٨) البخاري (٦٠٨٩) مسلم (٢٤٧٥).

تمجّه الأنفس، وينبغي لمن كان عبوسًا منقبضاً أن يبتسم، ويحسّن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم، ولابدّ للنفس من مجاهدة وتأديب»[٣٧٩].

ولا ينبغي للمسلم أن يكون طلْق الوجه مع إخوانه وأصحابه دون أهل بيته فهم أولى بذلك. كما قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[٣٨٠]، فمن الناس من يلقى خلاّنه بوجه منبسط بشوش، يلين لهم القول، ويضاحكهم، ويؤانسهم، فإذا عاد إلى بيته، إلى والديه، أو زوجه وأولاده، انقلب رأسًا على عقب. فلاحول ولا قوة إلا بالله. نسأل الله الهداية للجميع.

ما يستفاد من الحديث:

١- عدم احتقار أيّ عمل من أعمال الخير.

٢- الحثّ على الانبساط والتبسم مع الآخرين، مما يزيد الألفة بين المسلمين.

٣- كثرة طرق الخير.

فائدة:

«طلق» قال النووي -رحمه الله-: روي على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء. (شرح مسلم ١٦\١٧٧).

* * * * *

(٣٧٩) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٤١).

(٣٨٠) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن ماجه (١٩٧٧) والدارمي (٢٣٠٦) وصحّحه الألباني (الصحيحة ٢٨٥).

الحديث الأربعون

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يُؤذن له فليرجع» متفق عليه(٣٨١).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته رضي الله عنه في الحديث الحادي عشر.

الشرح:

يرشد الرسول ﷺ أمته إلى أدب من الآداب المهمة في تعاملها مع الآخرين، ألا وهو الاستئذان قبل الدخول، فإن لم يؤذن له بعد المرة الثالثة فليرجع. فلو طرق إنسان باب غيره فلا يزد على ثلاث مرات، لا كما يفعله بعض من لم يتأدب بهذا الأدب النبوي من استمرار رنّ جرس المنزل، وطرق الباب عدة مرات، خاصة إذا علم بوجود أحد في المنزل، وهذا ليس من حقّه «لأن الإنسان قد يكون في حاجة، وقد يكون غير مستعدٍ لاستقبال الناس، فلا يمكن أن تلجئه وتحرجه»(٣٨٢)، «وإن لم يأذن لك فلا تدخل حتى لو قال لك بصراحة: ارجع، فارجع كما قال الله تعالى:] - . / 0 1 2 3 4 Z [النور:٢٨]، وأنت يا صاحب البيت لا تستحي أن تقول: ارجع، وأنت أيها المستأذن لا تغضب عليه إذا قال لك: ارجع»(٣٨٣).

ومن آداب الاستئذان غير ما سبق: أن لا يقف الشخص في مكان يرى منه داخل البيت إذا فُتح الباب. وإذا قيل له: من؟ فلا يقل: أنا، بل يذكر اسمه. وينبغي أن يعلّم الوالدان أبناءهم وبناتهم على الاستئذان، حتى لو داخل البيت، فلا يدخل أحدهم غرفة أبويه، أو أخته، أو

---

(٣٨١) البخاري (٦٢٤٥) مسلم (٢١٥٣).

(٣٨٢) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٣١) طبعة ١٤٢٦هـ.

(٣٨٣) المرجع السابق

أخيه حتى يستأذن. والحكمة من الاستئذان قد بيّنها الرسول ﷺ بقوله: «إنّما جُعل الاستئذان من أجل البصر»[٣٨٤].

ما يستفاد من الحديث:

١- وجوب الاستئذان قبل الدخول.

٢- إذا لم يؤذن للمستأذن بعد المرة الأولى ولا الثانية ولا الثالثة فليرجع.

٣- الاستئذان فوق ثلاث مخالف لأمره ﷺ.

* للفائدة:

ذكر الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - جملةً من الأحاديث والآثار في كتابه: «الأدب المفرد»، فلتراجع لأهميتها في: صحيح الأدب المفرد للألباني - رحمه الله تعالى - من باب ٤٢٦ حتى باب ٤٤٦.

* * * * *

(٣٨٤) البخاري (٦٢٤١) مسلم (٢١٥٦).

الحديث الحادي والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِئَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي يَوْمٍ مِئَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» أخرجه البخاري ومسلم(٣٨٥).

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع عشر، وزيادة عليها في الحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

عِدْل: أي ما يساوي. حِرْزًا: حفظًا ووقاية.

الشرح:

في هذا الحديث عظم فضل التهليل والتسبيح والحمد، فقد بيّن ﷺ أن من قال: «لا إله إلا الله.. في يوم مئة مرة كأنما أعتق عشر رقاب، وكتبت له مئة حسنة ومُحيت عنه مئة سيئة، وكانت وقاية وحماية له من الشيطان طيلة يومه حتى يمسي، فهو في حصن حصين بهذا الذِّكر العظيم، الذي لا يجد الإنسان مشقّة في قوله له. وذكرُ الله جل وعلا من أعظم القربات، والآيات والأحاديث في فضله كثيرة جدًا، منها قوله تعالى:] وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ Z [العنكبوت:٤٥]، وقوله:] فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ Z [البقرة:١٥٢]، وقوله:] أَلَا â ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ Z [الرعد:٢٨]. ومن الأحاديث قوله ﷺ: «مثلُ الذي يذكُر ربّه والذي لا يَذْكُر ربّه مثل الحيّ

---

(٣٨٥) جعله البخاري في حديثين (٣٢٩٣) وكذا (٦٤٠٣) والآخر (٦٤٠٥) أما مسلم فجعله حديثًا واحدًا (٢٦٩١).

والميت»[٣٨٦]، وقوله: «لأنْ أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، أحبّ إليّ مما طلعت عليه الشمس»[٣٨٧] وقوله: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»[٣٨٨] وغيرها من الأحاديث الكثيرة. وقد بسط الإمام ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ الكلام على فضل الذكر وفوائده، حتى ذكر ما يقرب من ثلاثٍ وسبعين فائدة[٣٨٩].

والذِّكْرُ حِصْنٌ للمسلم، يقيه ـ بإذن الله ـ من الشرور والآفات، من شياطين الإنس والجنّ. أخرج الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في «الأدب المفرد» عن أبَانَ بن عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «من قال صباح كل يوم ومساء كل ليلة ثلاثًا ثلاثًا: بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم، لم يضرّه شيء» وكان أبان بن عثمان أصابه طَرَفٌ من الفالِج، فجعل الرجل ينظر إليه، ففطِنَ له فقال: إن الحديث كما حدّثتك، ولكني لم أقله ذلك اليوم، ليمضي قدر الله»[٣٩٠].

ومِنَ العَجَب ما تجده من زهد كثير من الناس في هذه الأذكار، وهي لا تكلّفه شيئًا، لا من الجهد ولا المال ولا الوقت «الآن الناس يسافرون ويقطعون الفيافي والصحاري والمهالك والمفاوز من أجل أن يربحوا شيئًا قليلًا من الدنيا قد يتمتّعون به، وقد يُحرمون إياه، وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها؛ لأن الشيطان يكسّله ويخذله ويثبّطه عنها، وإلا فهي كما قال الرسول ﷺ أحبّ إلى الإنسان مما طلعت عليه الشمس. وإذا فرضنا أن عندك مُلك الدنيا كلها، ثم حضر

---

(٣٨٦) أخرجه البخاري (٦٤٠٧) وأخرجه مسلم بلفظ: «مثل البيت الذي يذكر الله فيه..» (٧٧٩).

(٣٨٧) أخرجه مسلم (٢٦٩٥).

(٣٨٨) أخرجه البخاري (٦٦٨٢) ومسلم (٢٦٩٤).

(٣٨٩) الوابل الصيّب (٧٢ـ١٦٧).

(٣٩٠) أخرجه أبو داود أيضًا (٥٠٨٨) والترمذي (٣٣٨٨) وصححه الألباني في صحيح الأدب (٥١٣).

الموت، ماذا تستفيد ؟ لا تستفيد شيئًا، لكن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هي الباقيات الصالحات، قال تعالى:] ! " # $ % ' ( ) * + , - . Z [الكهف:٤٦]، فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة»[٣٩١].

وينبغي أن يقتصر المسلم على الأذكار الصحيحة الواردة عنه ﷺ ويدع ما سوى ذلك.

تنبيه:

تكفير الذنوب، وحطّ الخطايا إنّما هو للصغائر، أما الكبائر فلابُدَّ لها من توبة[٣٩٢].

وآخر: قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «التدبّر في الذِّكْر مطلوب كما هو في القراءة. . . . واعلم أنّ الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها، واجبةً كانت أو مستحبّة لا يحسب شيء منها ولا يعتدّ به حتى يتلفظ به بحيث يُسمع نفسه إذا كان صحيح السمع لا عارض له»[٣٩٣].

ما يستفاد من الحديث:

١- عِظَمُ فضل ذكرُ الله جلّ وعلا.

٢- كَثْرة طرق الخير، ويسرها.

٣- الحرص على المداومة على الأذكار الشرعية.

٤- الأذكار الشرعية حصن للمسلم من الشيطان.

---

(٣٩١) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨) الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ

(٣٩٢) وانظر بحثًا قيّمًا في هذه المسألة للشيخ الفاضل: عبد الله بن مانع الروقي (نَفْح العبير) (٣/ ٢٤-٣٣)

(٣٩٣) الأذكار (١٣ ـ ١٤).

٥- تحصيل الأجر العظيم بالعمل اليسير.

* * * * *

الحديث الثاني والأربعون

عن النُّعْمان بن بشيرٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةِ» ثُمَّ قَالَ: [- . / 0 1 3 4 5 6 7 8 9 : Z . أخرجه أبو داود والترمذي وقال: حسنٌ صحيحٌ[٣٩٤].

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمته رضي الله عنه في الحديث الرابع.

الشرح:

الدُّعاء عبادة عظيمة، وصفها النبي ﷺ في هذا الحديث بقوله: «هو العبادة» أي: هو لبُّ العبادة وجوهرها، كقوله ﷺ: «الحج عرفة» أي: أن أهمّ أركان الحج الوقوف بعرفة.

والدعاء سلاح معطّلٌ للأسف لدى كثيرٍ من المسلمين، مع أنّه من أعظم العبادات، وأيسرها، ويستطيعه كل مسلم. وقد وعد تبارك وتعالى بإجابة دعوة من يدعوه، كما في الآية التي استشهد بها الرسول ﷺ، وكما في قوله: [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ Z [البقرة:١٨٦]، والمسائل المتعلقة بالدعاء كثيرة جدًا، منها غير ما سبق:

١- تحرّي أوقات الإجابة.

٢- الحرص على الجوامع من الدعاء، وعلى المأثور الصحيح من الدعوات.

٣- عدم الاستعجال، كما قال الرسول ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يَعْجَل، يقول: قد دعوتُ فلم يستجبْ لي» متفقٌ عليه[٣٩٥]، وكان بعض السلف يقول: دعوتُ ربي في

---

(٣٩٤) أبو داود (١٤٧٩) الترمذي (٢٩٦٩) (٣٢٤٧) (٣٣٧٢) والنسائي في تفسيره (٢/٢٣٥) وصححه النووي في الأذكار ص(٣٤٥).

(٣٩٥) البخاري (٦٣٤٠) ومسلم (٦٩٣٤).

حاجة عشرين سنة فلم يقضها لي، ولم أيأس منها[٣٩٦].

٤- المال الحلال من أسباب الإجابة، كما في قوله ﷺ: «أيها الناس إن الله طيّب لا يقبل إلا طيبًا . . . ثم ذَكَرَ الرَّجل يطيل السفر، أشعث أغبر يمدّ يديه إلى السماء، يا ربّ يا ربّ، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك» أخرجه مسلم[٣٩٧].

٥- الحذر من الدعاء على النفس أو الولد، قال ﷺ: «لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإنّ الملائكة يؤمّنون على ما تقولون»[٣٩٨]، وقال: «لا تَدْعُوا على أنفسكم، ولا تَدْعُوا على أولادكم، ولا تَدْعُوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعةً يُسأل فيها عطاءً فيستجيب لكم»[٣٩٩].

وهذا للأسف يقع فيه البعض من الناس. هداهم الله. ولو أن الأب أو الأم دعا لولده بدل أن يدعو عليه، لكان له في ذلك خير كثير.

٦- أن يعلم الداعي أنه: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث، إما أن تعجّل له دعوته، وإما أن يدّخرها له في الآخرة،

---

(٣٩٦) لها مُورِّق العجلي أحد التابعين ـ رحمه الله ـ التمهيد (١٠/ ٣٠١).

(٣٩٧) (٢٣٤٦) أما حديث «يا سعد أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة» فقد قال عنه العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث ابن عباس وفيه من لا أعرفه. تخريج أحاديث الإحياء رقم(١٥٢١) وكذا قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٩).

(٣٩٨) مسلم (٢١٣٠).

(٣٩٩) مسلم (٧٥١٥).

وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها» قالوا: إذا نُكْثِرْ، قال: «الله أكثر»[٤٠٠].

٧- عدم الاعتداء في الدّعاء، أخرج أبو داود أنّ عبد الله بن مغفّل رضي الله عنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها، قال: يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور، والدعاء»[٤٠١].

قال الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ: «فالاعتداء في الدعاء تارة بأن يسأل الله ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله الله، مثل أن يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب.. وفسّر الاعتداء برفع الصوت في الدعاء... ومن العدوان أن يدعوه غير متضرع، بل دعاء مدلّ كالمستغني بما عنده..»[٤٠٢].

قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «العدوان في الدعاء يدور على أمرين: أن يسأل ما لا يمكن شرعًا، أو ما لا يمكن قدَرًا»[٤٠٣].

٨- قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «إجابة الدعاء تكون عن صحة الاعتقاد، وعن كمال الطاعة»[٤٠٤]، ولذا قال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله ـ: «لا تَسْتَبْطِئْ الإجابة إذا دعوتَ

---

(٤٠٠) أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الفتح الرباني (١٤/٢٦٦) وعزاه المنذري إليه وإلى البزار وأبي يعلى وقال: بأسانيد جيدة الترغيب (٢٣٨٢).

(٤٠١) أبو داود (٩٦).

(٤٠٢) الفتاوى (١٥/٢٢، ٢٣) وذكرها ابن القيم في «بدائع الفوائد» (٣/١٤) وانظر: مجلة البيان (٧٣/١٢٠) من صور الاعتداء في الدعاء للشيخ خالد السبت.

(٤٠٣) التعليق على صحيح مسلم (١/١٦٣).

(٤٠٤) الفتاوى (١٤/٣٤).

وقد سَدَدتَ طريقها بالذنوب»[٤٠٥].

٩- يقول الله تبارك وتعالى:] أَمَّن © ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُZ [النمل:٦٢]، فدعاء الإنسان لنفسه هو المشروع، وأولى بالإجابة من دعاء غيره له.

ما يستفاد من الحديث:

١- عِظَمُ شأن الدعاء.

٢- الدعاء هو لبّ العبادة.

٣- تسمية الله للدعاء: عبادة.

٤- من يتكبّر عن دعاء ربّه مصيره النار.

* * * * *

(٤٠٥) صفة الصفوة (٤/ ٨٦).

الحديث الثالث والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيهِ، وَمَا زَالَ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَوَافِلِ حَتَّى أُحْبَبْتُهُ[٤٠٦]، فَكُنْتُ سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بِها، وإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوتَ وأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» أخرجه البخاري[٤٠٧].

راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الرابع عشر، وزيادة عليها في الحديث السادس عشر.

معاني الكلمات:

وليًا: الوليّ بمعنى الناصر، وهو مشتقٌّ من الولاء وهو القُرب.

آذنته: أعلمته.

النوافل: جمع نافلة، وهي لغة: الزيادة.

يبطش: يضرب.

الشرح:

---

(٤٠٦) في رواية الكشميهني «..حتى أحبّه فإذا أحببته كنت...» انظر الفتح (١١/ ٣٤٣).

(٤٠٧) رقم (٦٥٠٢) وقول الذهبي ولا خرّجه من عدا البخاري ولا أظنّه في مسند أحمد وقول ابن حجر بعد نقله له ليس هو في مسند أحمد جزمًا (الفتح ١١/ ٣٤١) مما يستدرك عليهما ـ رحمهما الله تعالى ـ فقد أخرجه الإمام أحمد في المسند، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ قال الله عزّ وجلّ من أذلّ لي وليًا، (وفي رواية: من آذى...) فقد استحلّ محاربتي وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحبّه إن سألني أعطيته وإن دعاني أجبته وترددّتُ عن شيء أنا فاعله تردّدي عن وفاته لأنّه الموتَ وأكره مَساءته» (المسند، رقم ٢٦١٩٣ (٤٣/ ٢٦١) الرسالة.

هذا حديث قدسي، وهو ما يرويه الرسول ﷺ عن ربّه تبارك وتعالى، «وهل هو من كلام الله عزّ وجل لفظًا ومعنى؟ أو هو كلام الله معنى واللفظ من الرسول ﷺ؟ اختلف المحدّثون في هذا على قولين، والسلامة في هذا أن لا تتعمّق في البحث في هذا، وأن نقول: قال النبي ﷺ فيما يَرْوِيه عن ربّه عزّ وجلّ، وكفى»[٤٠٨].

ويفترق الحديث القدسي عن القرآن الكريم من وجوه ذكرها أهل العلم[٤٠٩].

«من عادى لي وليًا»، أي: اتخذه عدوًا له. «ووليّ الله بيّنه سبحانه وتعالى في قوله:

[! " # $ % & ' ( ) * + , - .

/ Z [يونس:٦٢-٦٣]، هؤلاء هم أولياء الله، فمن كان مؤمنًا تقيًا، كان لله وليًا»[٤١٠].

قوله: «فقد آذنته بالحرب»، أي: أعلنتُ عليهم الحرب، وفي هذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ عظيمٌ؛ لأنّ من حاربَه اللهُ أهلكَه.

«وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه»، أي: أن الفرائض التي أمر الله عباده بها هي أحبّ شيء يُتقرب به إليه، فصلاة الفريضة أحبّ إليه من النافلة، والزكاة أحبّ إليه من الصدقة، فصوم رمضان أحبّ إليه من صوم التطوع، وهكذا.

«وما زال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل..»، وفي رواية: «وما يزال» بصيغة المضارع، مما يدلّ على استمرار الفعل، ولا يزال العبد كذلك حتى يحبّه الله، وهنيئًا لمن حاز هذه المرتبة العالية،

---

(٤٠٨) ابن عثيمين شرح الأربعين النووية ص(٣٧٢).

(٤٠٩) انظر مثلاً: الصحيح المسند من الأحاديث القدسية مصطفى العدوي فقد ذكر في مقدمة الكتاب عشرة فروق.

(٤١٠) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/٣١٦) ط الأولى ١٤١٦، دار الوطن. والطبعة الجديدة (٣/٢٦٩).

فإذا أحبّه الله: «فكنتُ سَمْعَه الذي يَسْمَع به»، أي: أُسدّدَه في سَمْعِه، فلا يسمعُ إلّا ما يرضي الله«وبصرَه» أُسدّدَه في بَصَره، فلا يُبْصر إلا ما يحبّ الله،«ويده التي يبطش بها» فلا يعمل بيده إلا ما يرضي الله، «ورِجْله التي يمشي بها» فلا يمشي برجله إلّا لما يرضي الله عزّ وجل، فيكون مُسَدداً في أقواله وأفعاله»[٤١١].

قوله: «وإنْ سألني لأعطينّه» أُعطيه ما سألني إياه.

«ولئن استعاذني لأعيذنّه»، أي: لئن اعتصم بي ولجأ إليّ من شرّ كلّ ذي شرّ لأعيذنّه، فيحصل له بإعطائه مسؤوله وإعاذته مما يتعوّذ منه المطلوب، ويزول عنه المرهوب[٤١٢].

وهذا الحديث العظيم هو أشرفُ حديثٍ روي في صِفَةِ الأوْلياء[٤١٣]، «وليس لأولياءِ الله شيءٌ يتميّزون به عن الناس في الظاهر... بل يوجدون في جميع أصناف أمّة محمّد ﷺ إذا لم يكونوا من أهل البدع الظاهرة والفجور. فيوجدون في أهل القرآن وأهل العلم، ويوجدون في أهل الجهاد والسيف، ويوجدون في التّجارِ والصّنّاع والزّرّاع..»[٤١٤] «وليس من شرط وليّ الله أنْ يكونَ مَعصومًا لا يغلط، ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين...»[٤١٥] «فليس من شرط أولياء الله المتقينِ أن لا يكونوا مخطئين في بعض الأشياء خطأ مغفورًا لهم، بل ولا من شرطهم ترك الصغائر مطلقا، بل ولا من شرطهم ترك الكبائر، أو الكفر الذي تعْقبه التوبة»[٤١٦].

قال الشيخ حمد بن عتيق(ت١٣٠١) رحمه الله تعالى: «قد عُلم وتحقق بالعادة الجارية، والأدلة

---

(٤١١) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/٣١٧) ط دار الوطن. والطبعة الجديدة (٣/٢١٨).

(٤١٢) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٣/٧٥) ط دار الوطن. والطبعة الجديدة (٢/٦٣).

(٤١٣) ابن تيمية الفتاوى (١٨/١٢٩).

(٤١٤) السابق ص(١٩٤).

(٤١٥) السابق ص(٢٠١).

(٤١٦) السابق ص(٦٥،٦٦).

القاطعة، أنه ما مِنْ طائفةٍ قامتْ في عداوة أهل هذا الدّين، ونصبتْ لهم الحرب، إلا أوقع الله بها بأسه، ونوّع عليها العقوبات، هذا أمرٌ ثابتٌ يعرفه من نظر واعتبر، ويدلّ عليه قوله تعالى:] ! " # $ % & ' ( ) * + , - Z ; : 9 8 6 5 4 3 2 1 0 / . [الإسراء:٧٦-٧٧][٤١٧].

ويؤخذ منه أنه لا يُحكم لإنسان آذى وليًا، ثم لم يُعَاجَلْ بمصيبة في نفسه، أو ماله، أو ولده بأنه سلِم من انتقام الله، فقد تكون مصيبته في غير ذلك ممّا هو أشدّ عليه، كالمصيبة في الدّين مثلًا[٤١٨].

ما يستفاد من الحديث:

١- إثبات أولياء الله، وهو أمر ثابت بالقرآن والسنة.

٢- معاداة أولياء الله من كبائر الذنوب.

٣- مُحاربة الله لمن عادى له وليًا.

٤- إثبات المحبّة لله، وأنها تتفاضل.

٥- الأعمال الصالحة سبب محبّة الله لعبده.

٦- إذا أحبّ الله عبدًا سدّده في أقواله وأفعاله، وأجاب دعوته.

٧- «وفي هذا الحديث عِظَمُ قَدْرِ الوليّ، لكونه خَرَجَ عنْ تدبيره إلى تدبير ربّه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته، بِصِدْقِ توكّله»[٤١٩].

---

(٤١٧) الدرر السنية (٩/ ٥٠).

(٤١٨) نقله الحافظ في الفتح (١١/ ٣٤٦،٣٤٧) عن أبي الفضل بن عطاء.

(٤١٩) نقله الحافظ في الفتح عن أبي الفضل بن عطاء (١١/ ٣٤٦).

٨- هذا الوعيد في حقّ من عادى وليًّا واحدًا، فكيف بمن عادى اثنين؟ فكيف بمن عادى أكثر؟

* * * * *

الحديث الرابع والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَتَكُونُ فِتَنٌ القَاعِدُ فِيها خَيْرٌ مِنَ القَائِمِ، والقَائِمُ فِيها خَيْرٌ مِنَ المَاشِي، والماشِي فِيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، مَنْ تشرَّفَ لها تَسْتَشْرِفْهُ، فَمَنْ وَجَدَ مَلجَأً أَوْ مَعَاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ» متفق عليه(٤٢٠).

معاني الكلمات:

فتن: جَمْعُ فتنة، وأصل الفَتْن: إدخال الذهب في النار؛ لتظهر جودته من رداءته. وقيل: أصل الفتنة الاختبار، ثم أُطلقتْ على كلّ مكروه.

تشرّف: تطلّع وتعرّض لها.

تستشرفه: تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك.

معاذاً: بمعنى الملجأ.

الشرح:

يُخبر ﷺ بأنه ستكون في هذه الأمة فتن عظيمة، تدع الحليمَ حيرانَ، وبيّن أنّ القاعد في هذه الفتن خيرٌ من القائم فيها، وأنّ القائم فيها الذي لا يستشرفها خير من الماشي فيها وفي أسبابها، فربما وقع فيها، وأن الماشي خير ممن يسعى في هذه الفتنة، فهُمْ درجات، وكل درجة شرّ من التي قبلها. «من تشرّف لها»، أي: تصدّى وتطلع لها، ولم يُعرض عنها «تستشرفه»، أي: تهلكه.

ثم أرشدَ - وهو المعلّم والموجّه لأمّته ﷺ - أن من وَجَدَ مكاناً فليلتجئْ إليه. وجاء في رواية عند الإمام مسلم: «فإذا نزلتْ أوْ وقعتْ، فمَنْ كان له إبلٌ فليلحقْ بإبله، ومَنْ كانتْ له غنمٌ فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه» فقال رجل: يا رسولَ الله: أرأيتَ من لم تكن

---

(٤٢٠) البخاري (٧٠٨١) ومسلم (٧٢٤٧).

له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «يعمد إلى سيفه فيدقّ على حدّه بحَجَر ثم لينجُ إنْ استطاع النَّجاء، اللّهم هل بلّغت؟ (قالها ثلاثًا) فقال رجل: يا رسول الله: أرأيتَ إنْ أُكرهتُ حتى يُنطلق بي إلى أحدِ الصفّيْن، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجئ سَهْمٌ فيقتلني؟ قال: «يبوءُ بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار»[٤٢١].

وقد أخبر ﷺ - وهو الصادق المصدوق - أن الفتن بعده كثيرة جدًا، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة، فقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا: لا. قال: «فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كمواقع القطر»[٤٢٢].

وأمر بالمبادرة بالأعمال قبل الفتن: «بادروا بالأعمال فتنًا كقِطع اللّيل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع أحدهم دينه بعَرَض من الدنيا»[٤٢٣].

ولما وقعت الفتنة بين عليّ ومعاوية رضي الله عنهما اجتنبها بعض الصحابة كسعد بن أبي وقاص وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بَكرة، وغيرهم رضي الله عنهم.

ولما أخذ الناس في الطعن على عثمان بن عفان رضي الله عنه قام عامرُ ابن ربيعة رضي الله عنه يصلّي من الليل ثم دعا: «اللهم قِني الفتنة بما وقيتَ به الصالحين من عبادك» فما خرج ولا أصبح إلا بجنازته[٤٢٤].

«والفتنة إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت تبيّنت» كما قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه[٤٢٥].

---

(٤٢١) مسلم (٧٢٥٠).

(٤٢٢) البخاري (١٨٧٨) ومسلم (٧٢٤٥).

(٤٢٣) مسلم (٣١٣).

(٤٢٤) أخرجه ابن سعد (٣/٣٧٨) والحاكم وصححه الذهبي ووافقه سعد الحميّد مختصر استدراك الذهبي على مستدرك الحاكم (٤/٢٠٦٧).

(٤٢٥) البداية والنهاية (٧/٢٣٧).

قال الشيخ ابن باز ـ رحمه الله تعالى ـ: «الأحاديث التي فيها التحذير من الفتن محمولة على الفتن التي لا يُعرف فيها المحقّ من المبْطِل . . وهي التي قصدها النبي ﷺ . . أما الفتن التي يُعرف فيها المحقّ من المبطل، والظالم من المظلوم فليست داخلة في الأحاديث المذكورة، بل قد دلت الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على وجوب نصرة المحقّ، والمظلوم على الباغي والظالم»(٤٢٦).

واعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أنّ من الجهل وقلة العقل تمنّي لقاء العدو، قال ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لقاء العدو، وسَلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا»(٤٢٧)، ولا ينافي هذا حبّ الجهاد في سبيل الله، وتمني الموت من أجله، فهذا أمر، وذاك أمر.

ومما ينبغي على المسلم فعله زمن الفتنة أمور، منها:

١- الدعاء بأن يقيه الله شرّ هذه الفتنة، وغيرها من الفتن.

٢- سؤال أهل العلم الراسخين:] k j i h g f e d [Z| o n m l(٤٢٨) [النساء:٨٣].

٣- الاجتهاد في العبادة.

٤- كفّ اللسان، واليد وسائر الجوارح.

٥- لزوم البيوت.

٦- الابتعاد عن مكان الفتنة إلى ملجأ آمن.

٧- الصبر.

---

(٤٢٦) فتاواه (١٨ / ٤٣٤).

(٤٢٧) البخاري (٢٩٦٦) مسلم (٤٥٤٢).

(٤٢٨) قال الشيخ ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وفي هذا دليل لقاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله ولا يتقدم بين أيديهم فإنه أقرب للصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ» من كتاب: معالم في أوقات الفتن والنوازل ص١٨).

ما يستفاد من الحديث:

١- إرشاده ﷺ أمته إلى ما يجب فعله حال الرخاء، وحال الشدة.

٢- تفاوت درجات المشاركين في الفتنة.

٣- النهي عن التطلّع للفتن ومواجهتها.

٤- الفرار من مواطن الفتن.

فائدة:

للشيخ عبد العزيز السدحان رسالة مهمّة في هذا الباب، بعنوان: (معالم في أوقات الفتن والنوازل) قدّم لها معالي الشيخ صالح الفوزان.

* * * * *

الحديث الخامس والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلّا رَفَعَهُ اللهُ» أخرجه مسلم(٤٢٩).

الشرح:

يرشد ﷺ إلى ثلاث خصال حميدة: الصدقة، العفو، التواضع. «فالصدقة لا تُنقص المال؛ لأنه لو فُرض أنه نقص من جهة، فقد زاد من جهات أُخر، فإنّ الصدقة تبارك المال، وتدفع عنه الآفات وتنميه، وتفتح للمتصدق من أبواب الرزق وأسباب الزيادة أمورًا ما تُفتح على غيره، فهل يقابل ذلك النقص بعض هذه الثمرات الجليلة؟ فالصدقة لله التي في محلها لا تنفد المال قطعًا، ولا تنقصه بنص النبي ﷺ، وبالمشاهدات والتجربات المعلومة، هذا كله سوى ما لصاحبها عند الله من الثواب الجزيل، والخير والرفعة»(٤٣٠).

وقد أخبرنا الحق تبارك وتعالى عن ذلك بقوله:] وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ Z [سبأ:٣٩].

«وما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا»: والعفو عن أخطاء الآخرين وتجاوزاتهم من الخصال الحميدة، التي مدحها الله جل وعلا:] 5 6 7 Z [آل عمران:١٣٤]،] فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ Z [الشورى:٤٠]، وقد يوسوس الشيطان - من الجنّ والإنس - أنّ العفو يعني العجز والضعف، والذل عند الآخرين، فأخبر الرسول ﷺ أنّ ذلك لا يزيده إلا عزًا في الدنيا والآخرة. وقد ضرب ﷺ أعلى الأمثلة في العفو، عند دخوله مكة عام الفتح، فعفى عن أهلها، وهم الذين ساموه وأصحابه صنوفًا من العذاب لأكثر من عشر سنوات. وقد سار سلف الأمة

---

(٤٢٩) برقم (٦٥٩٢).

(٤٣٠) ابن سعدي بهجة قلوب الأبرار ص(١٤٩).

وصالحوها على ذلك، فهذا الإمام أحمد رحمه الله تعالى جعل كل من آذاه في حلّ إلا أهل البدعة، وكان يتلو في ذلك:] X Y Z [النور:٢٢] . ويقول: ماذا ينفعك أن يُعذّب أخوك المسلم بسببك[٤٣١] ؟

وقال أبو بكر المرُّوذي: «بتّ مع أبي عبد الله ـ يعني: أحمد بن حنبل ـ ليلة، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: يا أبا عبد الله كثر بكاؤك فما السبب؟ فقال: يا أبا بكر، ذكرتُ ضرب المعتصم إياي، وقد مرّ بي في الدرس:] | { ~ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ Z [الشورى:٤٠]، فسجدتُ وأحللته في السجود»[٤٣٢] .

وأوذي الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ وسُجن مرارًا، واستفتاه السلطان في قتل من آذاه ووشى به، فلم يقبل رحمه الله أن ينتصر لنفسه وقال: «من آذاني فهو في حلّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي»[٤٣٣] .

وما زاد الله هذين الإمامين إلا عزًّا في الدنيا، وما زالت الرحمات تتوالى عليهما منذ مئات السنين، وكتب الله لما خلّفاه من العلم القبول والانتشار، وما عند الله خير وأبقى.

لكن بقي هنا مسألة، وهي: هل العفو مطلوب عن كل إنسان؟

يقول الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا أساء إليك شخص معروف بالإساءة والتمرد والطغيان على عباد الله، فالأفضل أن لا تعفو عنه، وأن تأخذ بحقك، لأنك إذا عفوتَ ازداد شره، أما إذا كان الإنسان الذي أخطأ عليك قليل الخطأ، قليل العدوان، لكن أمر حصل على سبيل الندرة، فهنا الأفضل أن تعفو، ومن ذلك حوادث السيارات اليوم التي كثرت، فإن بعض الناس يتسرع ويعفو عن الجاني الذي حصل منه الحادث، وهذا ليس بالأحسن، الأحسن

---

(٤٣١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٣٥).

(٤٣٢) تاريخ بغداد (١٨/ ١٦٣).

(٤٣٣) البداية والنهاية (١٤/ ٥٤).

أن تتأمل وتنظر، هل هذا السائق متهور ومستهتر، لا يبالي بعباد الله، ولا يبالي بالأنظمة؟ فهذا لا ترحمه، خذ بحقك منه كاملاً، أما إذا كان إنساناً معروفاً بالتأني، وخشية الله، والبعد عن أذيّة الخلق، والتزام النظام. . . فالعفو هنا أفضل. . .»[٤٣٤].

وثالثة الخصال: «وما تواضع أحدٌ لله إلّا رفعه الله» والتواضع هو التذلل والانكسار، عكس التكبّر، وهو «الانقياد الكامل للحق، والخضوع لأمر الله ورسوله، امتثالاً للأمر، واجتناباً للنهي، مع التواضع لعبادِ الله، وخفضِ الجناح لهم، ومراعاة الصغير والكبير، والشريف والوضيع. .»[٤٣٥]. «وكلاهما سبب للرفعة، سواء تواضعتَ لله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وذللتَ له وعبدته، أو تواضعتَ لعباد الله من أجل الله لا خوفاً منهم، ولا مداراة لهم، ولا طلباً لمال أو غيره، إنما تتواضع من أجل الله عزّ جل، فإن الله تعالى يرفعك في الدنيا وفي الآخرة»[٤٣٦].

وكان رسول الله ﷺ سيّد المتواضعين، فإذا كان في بيته كان في مهنة أهله. يعني: خدمتهم. فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة[٤٣٧]، وفي رواية: «كان بَشَرًا مِنَ البَشَر، يَفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه»[٤٣٨]. «وكان يَخصِفُ نعله، ويرقع ثوبه». قال ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ: «. . . الإنسان إذا كان في بيته فمن السُّنة أن يصنع الشاي مثلاً لنفسه، ويطبخ إذا كان يعرف، ويغسل ما يحتاج إلى غسله، كل هذا من السنة، أنت إذا فعلت ذلك تثاب عليه ثواب سُنّة، إقتداءً برسول الله ﷺ وتواضعًا لله عزّ وجل؛ ولأن هذا يوجد المحبة بينك وبين أهلك. . .»[٤٣٩].

---

(٤٣٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ١٤, ١٥) الطبعة الأولى دار الوطن.

(٤٣٥) ابن سعدي بهجة قلوب الأبرار ص(١٤٩).

(٤٣٦) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/ ٧٢) دار الوطن.

(٤٣٧) أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٤٣٨) أخرجه أحمد الفتح الرباني (٢٢/ ٢٤)، والترمذي في الشمائل (٢٩٣٠) وصححه الألباني.

(٤٣٩) شرح رياض الصالحين (٦/ ٢٢٤)، الوطن.

وانظر إلى صورٍ من تواضع السلف رحمهم الله تعالى:

١- قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: «صحبتُ ابن عمر وأنا أريد أن أخْدِمَه، فكان هو الذي يخدمني»[٤٤٠].

٢- وهذا الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ وقد قيل له: ما أكثر الداعين لك، فتغَرْغَرتْ عيناه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا. وقال: قال محمد بن واسع: لو أنّ للذنوب ريحًا ما جلس إليّ منكم أحد[٤٤١].

٣- والإمام سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ وقد اجتمع الناس عليه ـ يقول: لقد خِفْتُ أنّ الأمة قد ضاعتْ إذا احتاج الناس إليّ[٤٤٢].

٤- ولما كان الشيخ العلامة عبد الله أبا بطين (ت ١٢٨٢) ـ رحمه الله تعالى ـ في شقراء وَفَدَ إليه محمد بن عمر بن سَليم ومحمد بن عبد الله بن سَليم لتلقّي العلم عنه، فلما حلّ شهر رمضان كان يحمل لهما السحور بنفسه، فقالا له: إذا أردت أن تعطينا شيئًا فأخبرنا، نأتي، ولا تكلف نفسك، فردّ: يا أبنائي لا تحْرماني الأجر[٤٤٣].

٥- وسئل الشيخ العلامة سعد بن حمد بن عتيق (ت ١٣٤٩) رحمه الله تعالى عن مسألة فقال ـ قبل جوابه السائل ـ: «وإني لمعترف ـ والصدق منجاة ـ بأن طلب الإفادة ممن هو

---

(٤٤٠) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا الطبعة الأولى مكتبة الرشد ص(٣١٧) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي مكتبة المعارف (١٤٠٣هـ) (٢/ ٢٤١).

(٤٤١) كتاب الورع عن الإمام أحمد للمرّوذي الطبعة الثانية دار ابن رجب ص(١٦٤).

(٤٤٢) تاريخ بغداد (٥/ ١٢٣).

(٤٤٣) علماء آل سَليم وتلامذتهم وعلماء القصيم صالح بن سليمان العمري ص(٢٢) وانظر مكانة هذا العالم وتبحّره في العلوم في ترجمة تلميذه ابن حميد له في (السحب الوابلة ٢/ ٦٢٦).

مثلي من عجائب الدهر . .»[٤٤٤] وقال مرة: «فسؤال مثلي يدلّ على انقراض العلم وانتقال أهله، لما اتصفنا به من قلّة العلم وقصور الفهم . .»[٤٤٥]، وقال في جواب آخر: «ولا شك أن مسيس الحاجة إلى مثلي في كشف المشكلات يدل على انقراض العلم، وتقوّض خيامه، لعدم الأهلية في ذلك . .»[٤٤٦] .

يقول هذا الكلام رحمه الله تعالى مع أنه من أعلم أهل زمانه، إن لم يكن أعلمهم . لكنه تواضع العلماء .

تنبيه:

يزيد بعضهم في أول جملة من الحديث: «ما نقصت صدقة من مال» قول: «بل تزده، بل تزده» وهذه الزيادة لا صِحّة لها[٤٤٧] .

«وهذه الثلاث المذكورات في هذا الحديث مقدماتُ صفات المحسنين، فهذا محسن في ماله، ودَفع حاجة المحتاجين، وهذا محسن بالعفو عن جنايات المسيئين، وهذا محسن إليهم . بحلمه وتواضعه، وحسن خلقه مع الناس أجمعين، وهؤلاء قد وسعوا الناس بأخلاقهم وإحسانهم، ورفعهم الله فصار لهم المحل الأشرف بين العباد، مع ما يدّخر الله لهم من الثواب»[٤٤٨] .

ما يستفاد من الحديث:

١- الحثّ على الصدقة، وأن الله يبارك للمتصدق .

٢- الترغيب في العفو، وأنه يزيد صاحبه عزًّا ومكانة .

---

(٤٤٤) السُّنَّة (١/ ٥٥٩)

(٤٤٥) المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق دار الهداية ١٤١٥هـ ص(١١٥, ١٢٥).

(٤٤٦) المجموع المفيد من رسائل وفتاوى الشيخ سعد بن عتيق دار الهداية ١٤١٥هـ ص(١١٥, ١٢٥).

(٤٤٧) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٦/ ٧٠) دار الوطن.

(٤٤٨) ابن سعدي بهجة قلوب الأبرار (١٤٩, ١٥٠).

٣- التواضع من الخصال التي يحبها الله، إذا فعلها العبد لله، فيرفعه بها في الدنيا والآخرة.

* * * * *

الحديث السادس والأربعون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فاتّقوا الدُّنيا، واتّقوا النّسَاءَ، فَإنَّ أَوَّلَ فِتْنَةَ بَنِي إسْرَائيل كَانَتْ فِي النّسَاءِ» أخرجه مسلم(٤٤٩).

راوي الحديث:

سبقتْ ترجمته رضي الله عنه في الحديث الثالث والعشرين.

معاني الكلمات:

حلوة خضرة: حَسَنة نضرة كالفاكهة الخضراء الحلوة.

مستخلفكم: جعلكم خلائف فيها، يخلف بعضكم بعضاً.

اتّقوا: احذروا.

الشرح:

يخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث أن: «الدنيا حلوة خضرة» والنفس بطبعها تميل إلى ما كان كذلك، وإنما ذكر الرسول ﷺ ذلك حتى ينبّه إلى الأمر المهم في الحديث. بعد أنّ بيّن أنّنا مستخلفون فيها، فكيف يكون عملنا. «فاتقوا الدنيا»، أي: بالحذر من الاغترار بها:] \ [^ _ ` a Z [الحديد:٢٠] والركون إليها وهي دار ممّر، وليست دار مستقر، «كُنْ في الدُّنيا كأنَّك غريبٌ أو عابرُ سبيل»(٤٥٠)، ويا حسْرَةَ من شغلته الحياة الفانية عن الحياة الباقية الآخرة. قال عون بن عبد الله (ت بضع عشرة ومئة) رحمه الله تعالى: «إنّ مَنْ كان قَبْلَنا كانوا يجعلون للدنيا ما فضل عن آخرتهم، وإنكم تجعلون لآخرتكم ما فضل عن

---

(٤٤٩) برقم (٢٧٤٢).

(٤٥٠) البخاري (٦٤١٦).

دنياكم»[٤٥١].

فإذا كان هذا في القرن الثاني، فكيف الحال الآن في القرن الخامس عشر؟! قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ: «طلبُ فضول الدّنيا عقوبة عاقب الله بها أهل التوحيد»[٤٥٢] وقال تلميذه الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ: «عزيزٌ عليّ أن تذيب الدنيا أكباد رجال وَعَتْ صُدُورُهم القرآن»[٤٥٣].

وما أشبه كلام الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ بحال بعض الشباب والرجال ممن وعتْ صدورهم القرآن، وأقبلوا على طلب العلم، ثم انصرفوا عنه! طلبًا لزخرف الحياة الدنيا، وتغيّر تبعًا لذلك ظاهرهم، وما خَفِي كان أعظم!

قال الشيخ محمد بن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ معلّقًا على حديث: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل، فترك قيام الليل»[٤٥٤] قال: «... ومن ذلك وهو أعظمُ منه أن يبدأ الإنسان بطلب العلم الشرعي، ثم إذا فتح الله عليه... تركه، فإنّ هذا كُفْر نعمة أنعمها الله عليه...»[٤٥٥].

جاء في ترجمة: محمد بن عبد الرحمن الأسنائي (ت٧٣٩): «وكان ذكيًّا جدًّا حتى كان شيخه يقول له: إن اشتغلت (يعني بطلب العلم) ما يقال لك إلا الإمام.. ثم ترك الاشتغال وأقبل على تحصيل المال، ففاته هذا ولم يظفر بذاك»[٤٥٦]!!.

وهذا خَلَفُ الواسطي (ت٤٠١) كان عالمًا بالحديث، وصنّف أطرافًا على الصحيحين في

---

(٤٥١) صفة الصفوة (٣/٦٥).

(٤٥٢) المجموع شرح المهذّب (١/٣٠).

(٤٥٣) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص(٢٥٩).

(٤٥٤) البخاري (١١٥٢) ومسلم (١١٥٩) (٢٧٣٣).

(٤٥٥) شرح رياض الصالحين (٧/٦١) ط. دار الوطن.

(٤٥٦) الدُّرر الكامنة (٣/٤٩٩).

ثلاثة مجلدات، قال ابن كثير: «واشتغل بالتجارة، وترك النظر في العلم، حتى توفي سامحه الله»[٤٥٧]! نسأل الله أن لا يجعل الدنيا أكبر همّنا ولا مبلغ علمنا. آمين. ولا يعني ذلك أن لا يلتفت الإنسان إلى الدنيا ولا يسعى لكسب الرزق، لا، بل هو مأمور بذلك، وبطلبه من حِله؛ ليقوت نفسه، ومن يعول، قال تعالى:] وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ Z [القصص:٧٧]، فالأصل هو طلب الدار الآخرة مع عدم نسيان الدنيا.

«واتقوا النساء»، أي: احذروهنّ.

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: «وتدخل في النساء الزوجات وغيرهنّ، وأكثرهنّ فتنة الزوجات، ودوام فتنتهنّ وابتلاء أكثر الناس بهنّ»[٤٥٨]، وليس هذا دائمًا فكمْ من الزوجات من كانت سببًا في صلاح زوجها واستقامته، أو إعانته على الدعوة، وطلب العلم، وإنما المراد فتنة النساء عمومًا، وهو ما يسعى له أعداء الإسلام وأذنابهم من دعاة التبرّج والسُّفور؛ ليجعلوا المرأة تخالط الرجل بتوظيفها معه في مكان واحد، و«يحدثُ بتوظيفهن مع الرجال مَفسَدَةُ الاختلاط، ومَفسدة الزنا والفاحشة، سواء في زنى العين، أو زنى اللسان، أو زنى اليد، أو زنى الفرج، كل ذلك محتمل إذا كانت المرأة مع الرجل في الوظيفة»[٤٥٩].

يقول موحّد هذه البلاد المباركة على الكتاب والسنة الملك عبد العزيز رحمه الله تعالى: «...وأقبح من ذلك في الأخلاق: ما حصل من الفساد في أمر اختلاط النساء، بدعوى تهذيبهنّ، وترقيتهنّ، وفتح المجال لهنّ في أعمال لم يخلقن لها، حتى نبذوا وظائفهن الأساسية من

---

(٤٥٧) البداية والنهاية (١١/ ٣٤٤) وتاريخ بغداد (٨/ ٣٢٩).

(٤٥٨) شرح مسلم(١٧/ ٥٥)وهذا كلامه رحمه الله وهولم يجرّب فتنة الزوجة؛ لأنه مات ولم يتزوج!والله أعلم سبب ذلك، وهدي الرسول ﷺ أكمل الهدي، وقد خلّف هذه المصنفات العظيمة مع أنه لم يعش غير خمسٍ وأربعين سنة (٧٣١ـ٧٧٦هـ) فرحمه الله وغفر له.

(٤٥٩) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (١/ ٥٢) طبعة ١٤٢٤هـ مدار الوطن.

تدبير المنزل، وتربية الطفل. . .»[٤٦٠].

ولذا صدر الأمر بمنع النساء من العمل في الوظائف التي تؤدي إلى اختلاطهن بالرجال في ١٣٩٩/١٢/٢٢هـ، برقم ٨/١٩٦٠. ثم صدر التأكيد على ذلك، برقم ١١٥٧٥ وتاريخ ١٤٠١/٥/١٩هـ[٤٦١]. نسأل الله أن يجنّب بلادنا وبلاد المسلمين الشرور والفتن. آمين.

ما يستفاد من الحديث:

١- حرصه ﷺ على توجيه أمته إلى ما ينفعهم، وتحذيره ممّا يضرّهم.

٢- الحذر من الاغترار بالدنيا وزينتها.

٣- الحذر من فتنة النساء.

٤- الاعتبار بالأمم السابقة.

* * * * *

(٤٦٠) الدرر السنية (١٤/٤٠٣).

(٤٦١) الدرر السنية (١٦/٩٩) وأنصح بقراءة كتاب: عمل المرأة للأخ الفاضل: سالم بن عبد العزيز السالم وتقديم الشيخ الفاضل الأخ الدكتور عبد العزيز السدحان.

الحديث السابع والأربعون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أو قال: «غَيْرَهُ». أخرجه مسلم(٤٦٢).

معاني الكلمات:

يَفْرَكْ: يُبغض.

الشرح:

هذا الحديث من الأحاديث العظيمة الداعية إلى العدل والإنصاف، بأن لا يكتفي الإنسان بالنظر إلى المعايب والأخطاء، بل ليقابلها بالمحاسن والإيجابيات. وهو وإن كان عامًا في المؤمن والمؤمنة، فإنه أكثر ما يكون في الزوج وزوجه، وقد أمر الله عزّ وجل بالعدل] M L K N O Z [النحل:٩٠]، بل أمَر به حتى مع العدوّ:] وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا Z [المائدة:٨].

فعلى الزوج أن يتقي الله في معاملته لزوجه، ولا ينظر لطباعها بعين السّخْط، بل كما أرشد الرسول ﷺ: «. . إن كره منها خلقًا رضي منها آخر» فعليه أن ينظر إلى الأمور الحسنة فيها، وأن لا ينسى عيوبه هو، فربما استغل بعضُ الرّجال مفهوم القوامة ليجعل منه سيفا مصلتا على المرأة. ونسي، أو تناسى، أو جهل وصيته ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرًا»(٤٦٣)، بل أوصى بذلك في أعظم جمع من المسلمين، في حجة الوداع: «. . فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنّ بأمان الله. .»(٤٦٤).

قال الإمام أحمد بن حنبل . رحمه الله تعالى .: «أقامتْ أمّ صالح معي ثلاثين سنة فما

---

(٤٦٢) كتاب النكاح باب الوصية بالنساء رقم(١٤٦٧) [٣٦٤٥].

(٤٦٣) البخاري (٥١٨٦) ومسلم (٣٦٤٤).

(٤٦٤) أخرجه مسلم من حديث جابر في الحج رقم(٢٩٥٠) [١٢١٨].

اختلفت أنا وهي في كلمة[٤٦٥] !

وفي ترجمة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي(ت١٣٩٣) . رحمه الله تعالى . أنه كان يقول عن زوجته: «هذه ضيفة كلمة تخرجها من البيت»[٤٦٦] .

«فأنت إذا أساءتْ إليك زوجتك لا تنظر إلى الإساءة في الوقت الحاضر، ولكن انظر إلى الماضي، وانظر للمستقبل، واحكم بالعدل.

وهذا الذي ذكره النبي ﷺ في المرأة يكون في غيرها أيضاً ممن بينك وبينه معاملة، أوْ صداقة، أوْ ما أشبه ذلك، إذا أساء إليك يومًا من الدهر فلا تنس إحسانه إليك مرة أخرى . . وإذا غلب الإحسان على الإساءة فاحكم للإحسان . . »[٤٦٧] .

ما يستفاد من الحديث:

١- حرصُ الإسلام على العلاقات الزوجية.

٢- أنْ يحكم الإنسان بالعدل في علاقته مع الآخرين.

٣- كلُّ إنسان لا يخلو من العيوب. ولا يخلو أيضاً من المحاسن.

* * * * *

(٤٦٥) تاريخ بغداد (١٤/ ٤٣٨) وفي طبقات الحنابلة: عشرين سنة (١/ ٤٢٩) وفي ترجمته لابن الجوزي تفضيل في ذلك ص(٣٧٥).

(٤٦٦) ترجمته لعبد الرحمن السديس ص(٢٠٧).

(٤٦٧) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٥/ ١٤٤) ط الأولى ١٤١٦.

الحديث الثامن والأربعون

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» أخرجه البخاري ومسلم(٤٦٨).

معاني الكلمات:

أصحابي: جمع صاحب، والصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإسلام، وإنْ تخلّل ذلك ردّة.

أُحُد: هو الجبل العظيم في المدينة النبوية.

مُدّ: مكيال معروف، يعادل ربع صاع. وهو مقدّر بملئ كفّي الرجل المتوسط.

نصيفه: نصفه.

الشرح:

صحابة النبي ﷺ هم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين، كما قال عليه الصلاة والسلام: «خير الناس قرني..»(٤٦٩) أكرمهم الله واصطفاهم لصُحبة أفضل أنبيائه ورسله وخاتمهم. فكانوا خير أصحاب لأكرم نبي، رضي الله عنهم وأرضاهم.

ويبيّن ﷺ في هذا الحديث بعضَ ما لهم من الفضل العظيم، والأجر الجزيل. بعد أن نهى عن سبّهم. حتى لو أن أحدنا أنفق مثل جبل أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا حتى نصفه، قال أهل العلم: «وإنما قدّره به [أي المدّ] لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة»(٤٧٠).

---

(٤٦٨) البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم(٣٦٧٣) ومسلم باب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة برقم(٦٤٨٨) (٢٥٤١).

(٤٦٩) أخرجه البخاري (٢٦٥٢) ومسلم (٦٤٧٢).

(٤٧٠) لسان العرب مادة: مدد.

قال الحارث بن هشام رضي الله عنه .وهو ممّن أسلم عام فتح مكة .« . . والله لو أن جبال مكة ذهبًا فأنفقناها في سبيل الله، ما أدركنا يومًا من أيامهم . . »[٤٧١] .

هذا والحارث له شَرَفُ الصُّحْبة، لكنه ليس في منزلة من أسلمَ قبل الفتح، كما قال الله عز وجل:] لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ Z [الحديد: ١٠] .

قال ابن كثير .رحمه الله .: «والجمهور على أن المراد بالفتح ههنا فتح مكة»[٤٧٢]، ولذا شدّد السَّلَفُ النكير على من سبّ أحدًا من الصحابة رضوان الله عليهم، قال يحيى بن معين .رحمه الله تعالى .: «كل من شتم أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ دَجّال لا يُكتب عنه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[٤٧٣] .

وقال الإمام النووي .رحمه الله تعالى .: «واعلم أن سبّ الصحابة رضي الله عنهم حرامٌ، من فواحش المحرمات . . »[٤٧٤] .

وقال الإمام الشوكاني .رحمه الله تعالى .: « . . . فإنّه لم يُعادِهم ويتعرّض لأعراضهم المصونة .يعني: الصحابة .إلاّ أخبث الطوائف المنتسبة إلى الإسلام، وشر من على وجه الأرض من أهل هذه الملة، وأقلّ أهلها عقولًا، وأحقر أهل الإسلام علومًا . . بل أصل دعوتهم لِكِيادِ الدّين ومخالفة شريعة المسلمين . . . فَهُمْ يُظْهِرُونَ السبّ واللّعن لخير الخليقة . . مع أنّه قد ثبت في هذه الشريعة المطهرة أنّ من كفّر مسلمًا كفر . . . فعرفتَ بهذا أنّ كلّ رافضي خبيثٍ على وجه الأرض يصير كافرًا بتكفيرهم لصحابيّ واحدٍ . . . فكيف بمن كفّر كل الصحابة، واستثنى

---

(٤٧١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١).

(٤٧٢) تفسير سورة الحديد الآية العاشرة.

(٤٧٣) تهذيب التهذيب (١/ ٥٠٩).

(٤٧٤) شرح مسلم (١٦/ ٩٣).

أفرادًا يسيرة تنفيقًا لما هو فيه من الضلال . . . ؟»[٤٧٥] .

وأفضل الصحابة أهل بدر، ثمّ الحديبية. وأفضلهم العشرة المبشرون بالجنة، وأفضل العشرة أبو بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين.

ولأهمية هذا الأمر. حبّ الصحابة والترضي عنهم. جعله أهل العلم في كُتُبِ العقائد .

ما يستفاد من الحديث:

١- تحريم سبّ أحد من الصحابة رضي الله عنهم .

٢- فَضْلُ صُحْبَةِ الرسول ﷺ، وهي مرتبة لن يبلغها أحد بعدهم.

٣- الطعن في الصحابة طعنٌ في الشريعة؛ لأنهم حملتها، وطعنٌ في الرسول ﷺ؛ لأنه لم يحسن اختيار أصحابه، وطعنٌ في الله جل وعلا؛ لأنّه بَعَثَ خير أنبيائه ورُسُلِه فيهم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا .

* * * * *

(٤٧٥) نثر الجوهر على حديث أبي ذر ص(١٠٧ ـ ١١١).

الحديث التاسع والأربعون

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا» أخرجه أبو داود والترمذي(٤٧٦).

راوي الحديث:

سبقت ترجمته في الحديث الثالث عشر.

معاني الكلمات:

ليس منّا: أي مِنْ سُنّتنا، وهدْينا، وطريقتنا.

شَرَف: القدْر والمكانة، وأصل الشرف: المكان المرتفع.

الشرح:

الإسلام دين عظيم متكامل، أعطى كل ذي حق حقّه، عُني بالرّجل والمرأة، وبالصغير والكبير، وحثّ على التراحم بين المسلمين. «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» وأمر بالرحمة حتى للحيوانات، قبل أن يعرفها الغرب بأكثر من ثلاثة عشر قرنًا ونصف قرن تقريبًا[٤٧٧]! ومن أعجب ما أخبرنا به الرسول ﷺ أنه «غُفر لامرأة مومسة (زانية) مرّت بكلب على رأس ركيّ (بئر) يلهث، قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خُفّها فأوثقته بخمارها فنزعت له من الماء فغفر لها بذلك»[٤٧٨]، ومقابل ذلك «دخلتْ امرأةٌ النار في هرّة

---

(٤٧٦) أبو داود رقم(٤٩٤٣) الترمذي رقم(١٩٢٠) صحّحه النووي رياض الصالحين رقم(٣٥٩) طبع المكتب الإسلامي والألباني صحيح الجامع رقم(٥٣٢٠) حسّنه العراقي تخريج الإحياء رقم(١٦٩٩).

(٤٧٧) سوا جمعيات لحماية الحيوان وحكوماتهم الكافرة تقتل الإنسان!

(٤٧٨) البخاري (٣٣٢١) مسلم (٢٢٤٥).

ربطتها فلم تُطْعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» «حتى ماتت جوعًا»[٤٧٩].

وهنا في هذا الحديث يبيّن أرحم الخلق بالخلق ﷺ أنّ من هدي الإسلام وأهله: رحمة الصغير، ورحمته تكون بالحنوّ عليه، والرفق به في الأمر والنهي، وبذل النصح له، وأنّ هذا الصغير سيكون - إن شاء الله - واحدًا من رجالات الأمة، وصانعي مجدها، إلا أنه مُسْتَتِرٌ بثياب الصِّبا[٤٨٠].

«ويعرف شرف كبيرنا»، أي: يعرف قدر ومنزلة كبيرنا، والكبير: كبير السنّ، قال ﷺ: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم»[٤٨١]، فاحترام كبير السن، وتقديمه في صدر المجلس، وخدمته، وإلانة القول له. من مكارم الأخلاق، وكان ﷺ إذا سُقِي قال: «ابدؤوا بالكبير»[٤٨٢].

وكذا الكبير في علمه، له تقديم على غيره، وله فضل ومنزلة، فيجب احترامه وتوقيره، «وبتوقير العلماء توقّر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تُهان الشريعة؛ لأنَّ العلماء إذا ذلّوا، وسقطوا أمام أعين الناس، ذلّتْ الشريعة التي يحملونها، ولم يبقَ لهم قيمة عند الناس وصار كل إنسان يحتقرهم، ويزدريهم؛ فتضيع الشريعة»[٤٨٣].

قال الإمام عبد الله بن المبارك - رحمه الله -: «من استخفّ بالعلماء ذهبتْ آخرته، ومن

---

(٤٧٩) البخاري (٣٣١٨) و(٢٣٦٥) مسلم (٢٢٤٢).

(٤٨٠) للعلامة محمد الخضر حسين - رحمه الله - كلامٌ نفيس حول هذا في: «حياة الأمة».

(٤٨١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٣) وحسّنه النووي رياض الصالحين رقم(٣٥٥) وابن حجر «التلخيص الحبير» (٢/١٢٦) والعراقي تخريج الأحياء (١٧٠٠) والألباني صحيح الجامع (٢١٩٥).

(٤٨٢) قال ابن حجر: أخرجه أبو يعلى بسندٍ قوي الفتح (١٠/٨٧).

(٤٨٣) ابن عثيمين شرح رياض الصالحين طبعة ١٤٢٥ (٣/٢٣٠).

استخفّ بالأمراء ذهبتْ دنياه، ومن استخفّ بالإخوان ذهبتْ مروءته»[٤٨٤].

ولورثة الأنبياء حقوق أذكر بعضها على وجه الاختصار:

١ - موالاتهم ومحبتهم وإجلالهم، فهم ورثة الأنبياء، والمرء مع من أحبّ يوم القيامة.

٢ - أخذ العلم عنهم.

٣ - سؤالهم فيما يُشكل.] t u v Z [الأنبياء:٧].

٤ - الدعاء لهم بالتوفيق والسداد، والترحّم على من مات.

٥ - إشاعة مناقبهم، وذكرها في المجالس.

٦ - التماس العذر لهم.

٧ - الذبّ عن أعراضهم.

٨ - التثبّت فيما يُنسب لهم. قال الإمام ابن تيمية: «فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلّدها . . . فما أكثر ما يُحكى عن الأئمة ممّا لا حقيقة له»[٤٨٥].

٩ - الالتفاف حولهم، خاصة زمن الفتن والنوازل.

١٠ - نشر علمهم وبثّه بين الناس.

١١ - ستر عيوبهم وزلاتهم. فـ: «ليس جزاء العلماء الذين أتعبوا أنفسهم في تحصيل العلم، ولم يدخروا وسعًا في نشره بين الأمة، أنهم إذا أخطئوا أن ينشر خطؤهم، ويُسكت عن محاسنهم، فليس هذا من العدل؛ إذ العدل أن توازن بين الحسنات والسيئات، فإذا رجحت الحسنات فالإنسان من المحسنين، هذا إذا تقاربت الحسنات والسيئات، فكيف إذا كانت السيئة الواحدة في مقابل آلاف الحسنات؟ لكنّ بعض

---

(٤٨٤) سير أعلام النبلاء (٨/٤٠٨).

(٤٨٥) شفاء العليل في اختصار إبطال التحليل ص(٧٩).

الناس.والعياذ بالله.يتخذ من الخطأ الواحد ذريعة للسبّ والقول والقيل. . .»[٤٨٦].

قال بعض السلف: «إذا أَلِفَ القلبُ الإعراضَ عن الله ابتلاه بالوقيعة في الصالحين»[٤٨٧].

ما يستفاد من الحديث:

١- عناية الإسلام بجميع أفراده، صغارًا وكبارًا.

٢- رحمة الصغير والعطف عليه من سنن الهدى.

٣- إجلال الكبير في سنه، وعلمه.

٤- من لم يرحم الصغير، ويحترم الكبير، فقد خالف سنة المسلمين وطريقتهم.

* * * * *

(٤٨٦) ابن عثيمين الباب المفتوح (٦٦/ ١٣٠).

(٤٨٧) يُروى مرفوعًا لا يصح الإعلان بالتوبيخ ص(١٠٧) الضعيفة (٥٧٤١).

الحديث الخمسون

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» أخرجه الترمذي(٤٨٨).

معاني الكلمات:

لغطه: اللغط: الأصوات المبهمة المختلطة، والضجيج الذي لا يفهم، والمراد به في الحديث: الكلام الذي لا ينفع في الآخرة.

الشرح:

حثّ رسول الله ﷺ على الإكثار من ذكر الله في أحاديث كثيرة، وبيّن أنه: «ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار، وكان لهم حسرة»(٤٨٩)، ولأنّ الإنسان ربما غفل في بعض المجالس التي يكثر فيها اللغط. وما أكثرها في هذه الأزمان. فينسى ذكر الله، فأرشده الرسول ﷺ إلى أن يقول هذا الذكر، وقال في رواية أخرى للحديث: «ذلك كفّارة لما يكون في المجلس»(٤٩٠)، وهل يُشرع قولها عقب مجالس الذّكْر؟ نعم، قال ﷺ: «. . . فقالها في مجلس ذِكرٍ كانت كالطّابعِ يُطبع عليه. .»(٤٩١).

---

(٤٨٨) برقم (٣٤٣٣).

(٤٨٩) أخرجه أبو داود برقم(٤٨٥٥).

(٤٩٠) أخرجه أبو داود برقم(٤٨٥٩).

(٤٩١) قال الهيثمي: أخرجه الطبراني ورجاله رجال الصحيح مجمع الزوائد (١٠/١٤٢) وصححه الألباني الصحيحة رقم(٨١).

ما يستفاد من الحديث:

١- حرصه ﷺ على كل ما ينفع أُمته.

٢- مشروعية هذا الذِّكْر عقب كل مجلس.

٣- أهمية الذِّكْر في حياة المسلم اليومية.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

* * * * *

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	مقدمة المؤلف	٥
	تقديم فضيلة الشيخ عبد العزيز السدحان	٧
	إنما الأعمال بالنيات	١٣
	بُني الإسلام على خمس	١٦
	من أحدث في أمرنا هذا	١٩
	إن الحلال بيّن	٢٢
	... الصلاة على وقتها	٢٨
	المسلم أخو المسلم	٣٦
	من يُرِد الله به خيرًا	٤٠
	إن الصدق يهدي إلى البر	٤٣
	إنّ دماءكم وأموالكم	٤٨
	لا يدخل الجنة من كان	٥٣
١	مثل الجليس الصالح	٥٦
٢	نعمتان مغبون	٦٠
٣	لم يكن ﷺ فاحشًا	٦٥
٤	سبعة يظلهم الله في ظله	٦٨
٥	لا يرمي رجل رجلًا بالفسوق	٧٣
٦	لو يعلم الناس ما في النداء	٧٧

٧ يُبعث كل عبد على ما مات عليه ٨٢
٨ ليس الشديد بالصرعة ٨٦
٩ خيركم من تعلّم القرآن ٩٠
١٠ إن الرجل لينصرف من صلاته ٩٦
١١ انظروا إلى من هو أسفل منكم ١٠١
١٢ ترى المؤمنين في توادهم ١٠٤
١٣ من رأى منكم منكرًا ١٠٧
١٤ الرؤيا الحسنة من الله ١١٢
١٥ الدين النصيحة ١١٥
١٦ أتدرون من المفلس ١١٨
١٧ يا غلام إني أعلّمك كلمات ١٢١
١٨ كل أمتي معافى إلا المجاهرين ١٢٥
١٩ يا غلام سمّ الله ١٢٧
٢٠ افشوا السلام بينكم ١٣٠
٢١ من سنّ سُنّة حسنة ١٣٢
٢٢ إن الدين يسر ١٣٥
٢٣ إن الرفق لا يكون في شيء ١٣٨
٢٤ إن العبد ليتكلم بالكلمة ١٤٠
٢٥ من تشبّه بقوم ١٤٣
٢٦ يا مصرّف القلوب ١٤٦

٧ . .فلايؤذِ جاره..... ١٤٨
٨ ما يصيب المسلم من نصب..... ١٥١
٩ لاتحقرنّ من المعروف شيئًا..... ١٥٣
. إذا استأذن أحدكم ثلاثًا..... ١٥٥
١ من قال: لا إله إلا الله..... ١٥٧
٢ الدعاء هو العبادة..... ١٦١
٣ من عادى لي وليًا..... ١٦٥
٤ ستكون فتن القاعد فيها..... ١٧٠
٥ ما نقصت صدقة من مال..... ١٧٤
٦ إنّ الدنيا حلوة خضرة..... ١٨٠
٧ لا يفرك مؤمن مؤمنة..... ١٨٤
٨ لا تسبّوا أصحابي..... ١٨٦
٩ ليس منّا من لم يرحم..... ١٨٩
. من جلس في مجلس..... ١٩٣
فهرس الموضوعات..... ١٩٥